



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي بونعامة - خميس مليانة -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية و آدابها



التناسب الصوتي في القرآن الكريم سورتي

ياسين و الرحمن - أنموذجا-

دراسة صوتية دلالية

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات التخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص:لسانيات عامة

إعداد الطالبتين:

إشراف الأستاذة :

- ياسمينه بسكري

-فاطمة عماريش

-وسام زعير

السنة الجامعية:

1444/1443هـ - 2023/2022م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بوعنامة - خميس مليانة -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها



التناسب الصوتي في القرآن الكريم سورتي

ياسين و الرحمن - أنموذجا-

دراسة صوتية دلالية

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات التخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص:لسانيات عامة

إعداد الطالبتين:

- ياسمينة بسكري

- وسام زعير

إشراف الأستاذة:

- فاطمة عماريش

أعضاء لجنة المناقشة

الوظيفة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	إبراهيم بن طيبة
مشرفا ومقررا	فاطمة عماريش
ممتحنا ومناقشا	حورية قايش

السنة الجامعية: 1443/1444هـ - 2022/2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1438

شكر وتقدير

بسم الله الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ، والحمد لله ربَّ العالمين
الذي وقَّفنا وأعاننا على إنهاء هذا البحث والخروج
به بهذه الصَّورة المتكاملة، فبالأمس القريب بدأنا مسيرتنا التَّعلُّميَّة

ونحن نتحسَّس الطَّريق برهبة وارتباك

فأرأينا أنَّ تخصَّص اللِّغة العربيَّة وآدابها

هدفا ساميا وحبًّا وغاية تستحقَّ السَّير لأجلها،

وإنَّ بحثنا يحمل في طيَّاته طموح شباب

يحملون أن تكون أمتهم العربيَّة كالشَّامة بين الأمم.

وانطلاقا من مبدأ أنَّه لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس

فإنَّنا نتوجَّه بالشُّكر الجزيل للأستاذة الدَّكتورة " فاطمة عماريش "

التي رافقتنا في مسيرتنا لإنجاز هذا البحث

وكانت لها بصمات واضحة من خلال توجيهاتها وانتقاداتها البناءة والدَّعم الأكاديمي

كما نشكر عائلاتنا التي صبرت وتحملت معنا ورفدتنا بالكثير من الدَّعم على جميع

الأصعدة، كما نتوجَّه بأسمى عبارات الشُّكر والامتنان لكلِّ من قدَّم لنا عوناً أو أسدى لنا

معرفة خلال فترة إعدادنا لهذا العمل المتواضع وعلى رأسهم أساتذة قسم اللِّغة العربيَّة وآدابها

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشُّكر والعرفان لأعضاء اللِّجنة المناقشة لجهودهم في دراسة

هذا العمل المتواضع وتقييم محتواه فلهم منا فائق الاحترام والتَّقدير.

فنسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجيزهم عنَّا خير الجزاء وأن يكتب لهم التَّوفيق والسَّداد.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي وتعبني وخلاصة سنوات دراسي إلى:

إلى معنى رمز الحياة ورحيقها

إلى رمز التضحية إلى الصدر الرحب والقلب الحنون

أمي حفظها الله

إلى من حماني بظله ومنحني اسمه تاجا فوق رأسي إلى

أبي الغالي

إلى رمز العظمة ... إلى رمز الصدق ...

إلى الذي رباني وعلمني معنى الحياة والنضال

خالي أحمد رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى من أرى التفاؤل بأعينهم ونبرات الأمل أخواتي الغاليات

ياسمينة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع والذي يلخص جهد وتعب

سنوات طويلة عن الدراسة والمثابرة إلى:

من وضع المولى - سبحانه وتعالى - الجنة تحت قدميها،

ووقرها في كتابه العزيز

إلى من أفضلها على نفسي

فلقد ضحت من أجلي ولم تدخر جهدا

في سبيل إسعادي على الدوام "أمي الحبيبة" حفظها الله وأطال في عمرها

إلى من سعى وشقي للأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل على بشيء يوما من أجل

دفعي في طريق النجاح وسدّد خطاي

إلى من علّمني أن أرتقي سلّم الحياة بحكمة وصبر، صاحب السيرة العطرة والفكر

المستتير "أبي العزيز" حفظه الله وأطال في عمره

إلى رمز الحنان وسندي في هذه الحياة إخوتي الأعزاء كلّ باسمه

إلى الأستاذة الفاضلة "فاطمة عماريش" التي كانت نعم القدوة، فلم تبخل علينا

بالنصائح والتوجيهات وكان لها الفضل في إتمام هذا العمل.

وسام

مقدمة

لا ريب أنّ القرآن الكريم معجز في ألفاظه ومعانيه ، كتاب محكم السرد، دقيق النظم، متين الأسلوب ، يتّسم بالترابط والانسجام ، فكلّماته متلائمة وجمله متناسقة وأجزاؤه مرتّبة، وكلّ هذا التلاؤم الحاصل بينها يجري وفق نظام وعلم خاصّ وهو علم التناسب، فعظمة القرآن الكريم تتجلّى في نظمه البديع وبلاغته وتناسب ألفاظه، لذلك عني الكثير من الدارسين بدراسة هذا العلم والبحث في أسراره، فمن أبرز وجوه الإعجاز في القرآن تناسب آياته وكلماته، وقد حظي تناسب الأصوات وتآلفها في آيات القرآن الكريم باهتمام بالغ وعناية كبيرة لدى العلماء. فالتناسب الصوتي يعدّ من المواضيع المهمّة التي طرحت في السّاحة اللغويّة؛ إذ برزت للعديد من الباحثين آراء متشعّبة حوله، ولما كان هذا الموضوع متّصلاً اتصالاً مباشراً بالقرآن كانت له قيمة عظيمة وأهميّة بالغة في إبراز بلاغة وبيان آي القرآن الكريم.

وانطلاقاً ممّا سبق ذكره، واستكمالاً لجهود العلماء والباحثين في إظهار جوانب الإعجاز القرآني، ارتأينا اختيار هذا البحث الموسوم بـ "التناسب الصوتي في القرآن الكريم سورتي ياسين والرّحمان" أنموذجاً- دراسة صوتيّة دلاليّة-.

أمّا الأسباب والدوافع التي دعت إلى اختيارنا لهذا الموضوع فمنها أسباب ذاتيّة تتمثّل في:

- رغبتنا في التّعرف على أسرار هذا الموضوع ومعالجته خاصّة وأنّه يتعلّق بالقرآن الكريم.
- ميولنا إلى الدّراسات الصوتيّة .

ومنها أسباب موضوعيّة و التي تتمثّل في :

- توفّر التناسب الصوتي في القرآن الكريم .
- يقيننا بأنّ القرآن الكريم هو خير مجال للكشف عن جمال أصوات اللّغة العربيّة.
- أهميّة الصّوت اللّغوي في دراسة النّص القرآني ؛ فهو يتّسم بقوة التأثير .
- لذلك بنيت دراستنا على إشكالية رئيسيّة تعدّ إشكاليّة هذا البحث وهي:
- فيم تتجلّى مظاهر التناسب الصوتي في كلّ من سورة ياسين و سورة الرّحمان ؟

- وتحت هذه الإشكالية تندرج جملة من الإشكالات الفرعية وهي:
 - ما مفهوم التناسب الصوتي؟ وما هي أبرز آراء العلماء القدماء والمحدثون حوله؟
 - ما هي مخارج الحروف وصفاتها في اللغة العربية؟
 - ما هي مظاهر التناسب الصوتي ودلالته في كل من سورة ياسين والرّحمان؟
- وللإجابة على هذه الإشكالات قمنا باتباع خطة بحث مكوّنة من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

- جاء المدخل بعنوان علم الأصوات في الدراسات العربية.

فقد تناولنا فيه كيفية حدوث الصوت اللغوي وتعريف علم الأصوات، كما تحدّثنا عن موضوعه وأقسامه وفروعه ، لنخرج بعد ذلك في الحديث عن علم الأصوات عند القدماء والمحدثين ، ثم ختمنا المدخل بالحديث عن أهمية علم الأصوات.

والفصل الأوّل وسمناه ب "التناسب الصوتي" فقد تطرّقنا فيه لجميع المباحث النظرية المتعلقة بالموضوع، والمتمثلة في: المبحث الأوّل الذي تناولنا ماهية التناسب الصوتي ، أمّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان التناسب الصوتي بين القدماء والمحدثين، والمبحث الثالث وسمناه بعنوان التناسب الصوتي في القرآن الكريم، وفي المبحث الرابع والأخير تطرّقنا إلى مخارج الأصوات وصفاتها في اللغة العربية.

أمّا الفصل الثاني فقد كان عبارة عن دراسة تطبيقية للتناسب الصوتي في سورتي ياسين والرّحمان، حيث تكوّن من أربعة مباحث كذلك، المبحث الأوّل تناولنا فيه التعريف بسورة ياسين وفضلها، أمّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان دراسة التناسب الصوتي في سورة ياسين، و المبحث الثالث تطرّقنا فيه إلى التعريف بسورة الرّحمان وفضلها، أمّا في المبحث الرابع فقد تناولنا دراسة التناسب الصوتي في سورة الرّحمان، وأخيرا أنهينا بحثنا بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج المتوصّل إليها من عملية البحث.

كما اتّبعتنا في دراستنا لهذا الموضوع منهجين المنهج الوصفي والمنهج التحليلي كونهما يتلاءمان وطبيعة البحث.

وقد اعتمدنا في إنجازنا لهذا البحث على جملة من المصادر والمراجع أهمها:
 الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، أصوات اللغة لمحمود عكاشة، البرهان في علوم القرآن
 للزركشي، التناسب البياني للأحمد أبو زيد، لسان العرب لابن منظور، الكتاب لسيبويه، نظم
 الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، أثر التناسب الصوتي في الإعراب لإبراهيم جميل
 محمد إبراهيم، وتاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي .

أما عن الدراسات السابقة، فتوجد دراسات وأطروحات كثيرة استفدنا منها في مشوار بحثنا
 ونذكر منها:

- جماليات التناسب الصوتي في القرآن الكريم "سورة الملك"- أنموذجا- إعداد الطالبات (أمينة
 قادير، عائشة دقيدة ، فريدة رملي).
- جماليات التناسب الصوتي في القرآن الكريم "سورة المدثر"- أنموذجا- إعداد الطالبتين
 (دليلة سريج ، صابرين العباسي).
- أثر التناسب الصوتي في استجلاء المعنى في القرآن إعداد الدكتورة (بوكروشة فوزية).
 غير أنه خلال إنجازنا لهذا البحث واجهتنا عدّة صعوبات تمثلت في :
- قلة المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع.
- صعوبة التعامل مع النص القرآني الذي لا بدّ فيه من أخذ الحيطة والحذر.
- ضيق الوقت.

وأخيراً نسأل الله تعالى التوفيق والسداد في هذا العمل المتواضع، فإن أصبنا فبتوفيق الله
 عزّ وجلّ، وإن أخفقنا فمن أنفسنا.

مدخل: علم الأصوات في الدراسات العربيّة

منذ القديم كان الاهتمام بأصوات اللّغة بالغ الأهميّة إلى أن جاءت معجزة الله سبحانه وتعالى على خلقه في تحدّيه لكلام العرب على أن يأتوا بمثل فصاحة القرآن الكريم ، وأنّ هذا الكلام أنزل على أفصح البشر محمّد عليه الصّلاة والسّلام وخوفا من ضياع كلام المولى - عزّ وجلّ- بدأ علماء التّجويد في ضبط أصوات العربيّة في مخارجها وصفاتها ؛ فقد حدّد العلماء مخارج الأصوات وصفاتها واتّفقوا على أهميّة علم الأصوات ، فالصّوت هو اللبنة الأولى والمنطلق الأساسي لدراسة مختلف العلوم اللّغويّة ، ونحن في سبيل دراستنا لموضوع التّناسب الصّوتي ارتأينا قبل البدء في دراستنا الوقوف في هذا المدخل على جملة من المسائل النّظريّة كتعريف علم الأصوات وموضوعه وفروعه وأقسامه ، وكيف تناوله العرب القدماء والمحدثون ، لننتهي بأهميّته .

كيفية حدوث الصّوت اللّغوي:

عندما يستعدّ الإنسان للكلام العادي، يستنشق الهواء فيمتلئ صدره به قليلا، وإذا أخذ في التّكلم فإنّ عضلات البطن تتقلّص قبل النّطق بأول مقطع صوتي، ثم تتقلّص عضلات القفص الصّدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات، وتواصل عضلات البطن تقلّصها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى، فإذا فرغ منها فإنّ عملية الشّهيق تملأ الصّدر الثّانيّة وبسرعة استعداد للنّطق بالجملة الثّالية وهكذا.

وتختلف العمليّة الكلاميّة عن التّنفس العادي، في أنّ الثّاني يتمّ بصورة صامتة في العادة، لتحركّ الهواء دون عوائق، أمّا العمليّة النّطقيّة فلا يمرّ الهواء معها حرا طليقا، وإنّما يصادفه في اندفاعه إلى الخارج أنواع من الضّغط والكبح والتّعويق.

يوضّح ماريوباي كيفية إنتاج الأصوات اللّغويّة بقوله: " فالرئتان lungs تقومان بوظيفة المنفاخ الذي يوفّر التّيّار الهوائي يتّجه إلى أعلى خلال القصبة الهوائيّة Wind pipe ويواجه تضاريس مختلفة من التقبّضات والانسدادات، وبمجرّد أن يغادر الهواء الأوتار الصّوتيّة

vocal cords والحنجرة larynx يمكن له أن يتّجه إمّا إلى الفم أو إلى الأنف اللذين يقومان بوظيفة حجرتيّ رنين "resonating chamber".

ويوضّح د. رمضان عبد التّواب عمليّة إنتاج الصّوت اللّغوي بقوله: "إنّ الهواء الخارج من الرّئتين، إمّا أن يصادف مجراه مسدوداً سداً تامّاً، عند أيّة نقطة في الجهاز النّطقي ما بين الحنجرة والشّفتين، وإمّا أن يصادف في طريقة تضيقاً في المجرى، لا سداً فيه، بحيث يسمح هذا التّصنيف للهواء بالمرور، ولكنّ هذا الهواء يحتكّ بنقطة التّصنيف هذه".

معنى ذلك أنّ الصّوت اللّغوي يحدث عند عمليّة الرّفير، وذلك في أثناء خروج الهواء من الرّئتين لابدّ من أن يعتر منه عضو أو عضوان من أعضاء النّطق يتحكّمان في مروره فيمنعانه من المرور منعاً تامّاً ثمّ يفتح الانسداد بشكل مفاجئ، وربّما يواجه الهواء التّصنيف، كما أنّ الهواء في عمليّة الرّفير يخرج بشكل دفعات هوائيّة كلّ دفعة تكوّن مقطعاً صوتياً.

نلاحظ أنّ كفيّة خروج الهواء تحدّد صفات الأصوات الخارجة من مواضعها، كما أنّ العوائق التي يمرّ بها الهواء لها دور في تحديد تلك الصّفات.¹

1- تعريف علم الأصوات:

تعدّ الصّوتيات مصطلحاً لغويّاً معاصراً، وضع أساساً لمقابلة المصطلح الفرنسي phonétique والمصطلح الإنجليزي phonetics، وهذه الاصطلاحات مستمدّة من الكلمة اليونانيّة phonetikos المؤلّفة من جذرين هما phone أي الصّوت، و ikos أي العلم و الفن، ومن ثمّ فإنّ الصّوتيات تعني علم الصّوت.

-ينظر: فدوى محمّد حسان، أثر الإنسجام الصّوتي في البنية اللّغويّة في القرآن الكريم، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه¹ جامعة أم درمان الإسلاميّة، قسم الدّراسات التّحويّة واللّغويّة، ص 10-11.

ويعرّف سليمان أبو بكر سالم الصّوتيات بأنها العلم الذي يدرس الصّوت الإنساني بصفة عامّة، باعتباره مادّة حيّة ذات تأثير سمعي، إذ أنّ هذه الدّراسة لا تشمل بطبيعتها النّظر في الوظيفة الصّوتية ولا القوانين التي تحكم بنيتها، إنّما تنصبّ على الكيفيّة التّباينية لطبيعة الإنتاج الصّوتي وانتقالاته، ومن ثمّ استقبالاته¹، كما أنّها تعدّ فرعاً من فروع علم اللّغة، تبحث في نطق الأصوات اللّغويّة و انتقالها وإدراكها ويدعوها البعض بالصّوتيات أو علم الصّوتيات.²

وبالتّالي فإنّ أولى اهتمامات الصّوتيات هو الوجه المادّي لأصوات اللّغة البشريّة، أي بدراسة العناصر الصّوتية للسّلسلة الكلاميّة المعتبرة في تحقيقها الملموس وبمعزل عن وظيفتها اللّغويّة، وهذا يعني أنّها تعمل على تحليل العناصر الصّوتية من حيث كونها أحداثاً منطوقة تتمتّع بتأثير سمعي معيّن، ونستطيع بذلك أن نحصر ميدان أبحاث هذا العلم في ثلاثة أبواب رئيسيّة:

-طريقة نطق الأصوات كما تصدر عن أعضاء الآلة المصوّتة.

-انتشار الصّوت اللّغوي من فم المتكلّم إلى أذن المخاطب في موجات تدبذبيّة في الهواء.

-تأثير هذه الموجات في الأذن البشريّة وعملية إدراكها.³

2-موضوع علم الأصوات:

موضوع علم الأصوات، هو الوحدات الصّوتية الصّغرى في الكلام، فالوحدة الكبرى في المجموعة الكلاميّة هي الجملة، مثل "محمّد"، "في"، "البيت" في الجملة السّابقة، وتتركّب الكلمات من وحدات أصغر منها، هي ما يطلق عليه اسم الأصوات، فكلمة "محمّد" مكوّنة من

-سليمان أبو بكر سالم، اللّسانيات والمستوى الصّوتي والدّلالي في علم اللّغة المعاصر، دار الكتاب الحديث، القاهرة-مصر، 2009م، ص27.

²-محمّد علي الخولي: معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التّجاريّة، الرّياض، السعوديّة، ط1، 1986م، ص112.

³-بستام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، د ط، 1988م، ص6.

وحدات صوتية أصغر من وحدة الكلمة، وهي: صوت الميم، ثم صوت الضمة، ثم صوت الحاء، ثم صوت الفتحة، ثم صوت الدال على الترتيب.¹

وهذه الوحدات الصوتية، هي موضوع علم الأصوات الذي يدرس الأصوات اللغوية، من ناحية وصف مخرجها، وكيفية حدوثها، وصفاتها المختلفة التي يتميز بها صوت عن صوت، كما يدرس القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثير بعضها ببعض، عند تركيبها في الكلمات والجمل.

واللغة التي يدرسها علم الأصوات هي اللغة الحية المنطوقة أو لغة الخطاب اليومي أو اللغة التي نستطيع أن نتعرف منها على مظاهرها الصوتية، واللغة المكتوبة لا نستطيع أن نتعرف من خلالها على كل سماتها الصوتية.

ويعدّ علم الأصوات الذي يدرس أصوات اللغة فرعاً من فروع علم اللغة، ولكنه يختلف عن الفروع الأخرى، لأنه يدرس اللغة المنطوقة فقط التي تعدّ هدفاً لعلم الأصوات دون أشكال الاتصال الأخرى المنظمة، كاللغة المكتوبة، ورموز الصم والبكم، والحركات الجسدية والإشارية غيرها، من الرموز والحركات والهيئات التي تؤدي دلالات اتصالية بين أفراد المجتمع، ومن ثمة فعلم الأصوات لا يهتم إلا بالتعبير اللغوي، دون المضمون الذي يقوم تحليله على القواعد (الجانب النحوي) المعجم (الجانب الدلالي)². فعلم الأصوات فرع من فروع علم اللغة العام، مهمته دراسة الكلام، والكلام هو وسيلة الاتصال الأولي المستخدمة عالمياً في التواصل البشري.

3- أقسام علم الأصوات:

ينقسم البناء الصوتي إلى نوعين:

الأول: الفونيتيك أو علم الأصوات العام.

¹ -رمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1405 هـ -1985م، ص 13.

² -بريتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب ودراسة د. عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب، 1988 م، ص 6.

الثاني: الفونيميك أو علم الأصوات الوظيفي.

ويطلق الأوّل على الدّراسة العامّة لخصائص أصوات الكلام، أو دراسة أصوات اللّغة، ويدرس الأصوات من حيث ميكانيكيّة إصدار الأذن تنطق، وكيف تنطق مثل: وصف صوت "الباء" بأنّه فموي والميم بأنّه أنفي.

ويدرس النوع الثّاني وظيفة الصّوت وما يؤدّيه التّفاعل بين صوت وصوت من اختلاف المعنى، مثل اختلاف صوتي "الباء والميم" في نحو: "مل وبل"، وهو يؤدّي إلى اختلاف معنى الكلمتين.

فدراسة النّبر مثلاً وموضعه من الكلمة أو الجملة من اختصاص علم الأصوات العام "الفونيتيك"، ولكنّ دراسة الوظيفة التي يؤدّيها النّبر في الدّلالة من اختصاص علم الأصوات الوظيفي "الفونيميك"، مثل: "ماشاء الله"، إذا وقع النّبر على "ما" فقلنا: "ماشاء الله"، يقع على "ما" فما اسم موصول والجملة مثبتة، ويدخل في صميم اهتمام "الفونيتيك" وظيفة الوقفة في الكلام، ونرمز للوقفة ب "+" في المثال دون وقفة فاصلة بين المقاطع الصّوتيّة، فيصبح = إنشاء يوجد فرق بين الاثنين في المعنى وفي التركيب، فالأوّل تركيب فعلي مصدر بأن الشرطيّة، والثّاني عبارة عن كلمة مفردة (مصدر).¹

4-فروع علم الأصوات:

يمكن دراسة الأصوات من خلال أربعة جوانب أساسيّة يمثّل كلّ جانب منها فرعاً مستقلاً من علم الأصوات وهي:

4-1-علم الأصوات النّطقي:

ويبحث في جهاز النّطق البشري ومن أين تخرج الأصوات، وكيف تخرج، وما هو أثر بعضها على بعض عند المجاورة.²

¹-ماريوي، أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، 1419هـ. 1998 م، ص 46 . 47.

²-ينظر: عبد الرّحمان بن إبراهيم، دروس في النّظام الصّوتي للغة العربيّة، 1428 هـ، ص 02.

ويختصر علم الأصوات النطقي بثلاثة جوانب:

أ-دراسة الأصوات المنطوقة، والتفريق بينهما من حيث المخرج (لثوية شفوية...) أو الكيفية التي تنطق بها (انفجارية احتكاكية) وبيان صفتها (مجهورة، مهموسة) أو نوعها (أنفية، فموية) إلى غير ذلك من التصنيفات.

ب-الطريقة التي تكوّن بها الأعضاء المستخدمة في هذا التكوين.

ج -وظيفة الصوت المنطوق.¹

4-2 علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي) :

وهو العلم الذي يعالج البيئة الفيزيائية للأصوات المستخدمة أو العلم الذي يختصّ بدراسة الخصائص الفيزيائية للكلام (الموجات الصوتية في الهواء)، كما يدرس كيف تقاوم الأذن هذه الأصوات ويمكن تحديد اختصاصه في جانبين هما:

أ- دراسة الموجات والذبذبات الصوتية التي أحدثها المتكلم.

ب- دراسة الوسيط الذي انتقل عبره الكلام إلى أذن السامع، أو القناة التي مرّ منها حتّى وصل إلى المتلقّي.²

4-3 علم الأصوات السّمي أو الإدراكي:

علم الأصوات السّمي فرع من فروع علم الأصوات يهتمّ بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية للأصوات الكلام أثناء انتقالها من المرسل (المتكلم) إلى المرسل إليه (السامع) وذلك بغضّ النظر عن الشّروط أو الظروف إرسالها واستقبالها.³

كما يختصّ علم الأصوات السّمي بدراسة الاستماع إلى الموجات الصوتية واستلامها في الأذن، وما يحيط بها من أجهزة السّمع، ولها جانبان:

¹-جورج يول، معرفة اللّغة، تر محمود فراج، ط 1، 1423هـ. 2003م، ص 52.

²-بريتيل ما لبرج، علم الأصوات، مرجع سابق، ص 70.

³-يسام بركة، علم الأصوات العام مكتبة وملتقى علم الأصوات، بيروت- لبنان، ص 70.

أ- جانب عضوي، يتركز في دراسة فيزيولوجية PHYSIOLOGY الأذن وما يحيط بها من أجهزة السمع.

ب- جانب نفسي، ويتركز في دراسة سيكولوجية الاستماع من حيث التأثير في المستمع، واستجابته للمتكلم، ومن حيث العمليات العقلية التي تجرى في ذهنه لتفسير الكلام.¹

4-4 علم الأصوات التجريبي:

يعرّف هذا العلم من الصوتيات بأنه: "الدراسة الصوتية التي تعتمد على استعمال الأجهزة والآلات²، وهو يعتمد أساساً على إجراء التجارب المختلفة بواسطة الوسائل والأدوات الفنية في مكان معدّ لذلك يسمّى محلّ الأصوات، وهذه الأصوات منها ما يخدم علم الأصوات النطقي ومنها ما يستخدم في دراسة الجانب الفيزيائي للأصوات.³

5- علم الأصوات عند العرب القدماء:

تعدّ الدراسات الصوتية واحدة من الدراسات اللغوية العربية التي أوردها العلماء العرب اهتماماً كبيراً وملحوظاً؛ لما تمثله هذه الدراسات من علاقة وشيجة وقوية في الحفاظ على تجويد القرآن الكريم وتلاوته غصاً ندياً، كما أقرّاه جبريل عليه السلام (أمين الوحي) للرّسول الكريم محمّد صلى الله عليه وسلم.⁴

ومن بين العلماء العرب الذين برز لهم الأثر في الدرس الصوتي نجد على رأسهم الخليل ابن أحمد الفراهيدي (175 هـ)، وسيبويه (180 هـ) وابن جني (392 هـ) وابن سينا (428 هـ)، فالخليل ابن أحمد الفراهيدي هو أول من وضع الصوت اللغوي موضع التطبيق

¹-كمال إبراهيم، علم اللغة المبرمج: الأصوات والنظام الصوتي مطبقاً على اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1982م، ص 06.

²- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1418هـ-1997م، ص 82.

³-منال أبو الحسن، الصوتيات علم وفن تدريب وممارسة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 1436 هـ-2015م، ص 19.

⁴-حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة-مصر، ط2005، 1م.

في دراسته اللغوية التي تضمّنها كتابه العين ذو شقين: الأول، وتمثله المقدمة، والثاني بمادته اللغوية وتصريفاته الإحصائية المبتكرة التي اشتملت على المهمل والمستعمل في لغة العرب.¹ أما أبو الفتح عثمان بن جني، فقد كان منهجه الصوتي مثار إعجاب للبحث بما صحّ أن يطلق عليه اسم الفكر الصوتي، لأنّه يتمحّص لهذا العلم ويعرض فيه عصارة تجاربه الصوتية دقيقة منظّمة، ويتفرّغ لبحث أصعب المشكلات الصوتية بترتيب عميق في بحوث قيمة عرضت لجوهر الصوت في كتابيه: سرّ صناعة الإعراب والخصائص، وكان منهجه يضمّ تتبّع الحروف من مخارجها وترتيبها على مقاطع، وإضافته ستّة أحرف مستحسنة بأصواتها إلى حروف المعجم، وثمانية أحرف فرعية مستقبحة بأصواتها، ويحصر مخارج الحروف في ستّة عشر مخرجا تشريحيًا منظرًا له بأمثلته.²

كما يعدّ صنيع أبي الأسود الدؤلي نقط الإعراب، على الرّغم من كونه عملاً نحويًا في أساسه، للإحكام ضبط آيات القرآن الكريم من اللّحن والانحراف، يعدّ عملاً صوتيًا كذلك، فهو يعتمد على الأساس النطقي في توزيع الحركات.³

وقد برزت لعلماء التّجويد كذلك جهود كبيرة في علم الأصوات التي هي تطبيق عملي للقراءات القرآنية ومن هؤلاء العلماء عبد الله بن كثير المكي (ت 120 هـ) وأبو بكر عاصم بن أبي النّجود (ت 127 هـ) وأبو عمر بن العلاء (ت 157 هـ) ونافع بن أبي نعيم المدني (ت 169 هـ) وعبد الله بن عامر الدمشقي (ت 199 هـ)، ويعدّ ابن الجزري (ت 832 هـ) من أبرز علماء التّجويد إنتاجًا في ميدان التّأليف وبخاصّة في علم القراءات، منها: أصول القراءات، وتجوير التّيسير في القراءات العشر، والنّشر في القراءات العشر، وغيرها من الكتب التي درس فيها مخارج الحروف وصفاتها وما يلحقها من النّطق من تغيير.

¹-عمار ساسي، المدخل إلى الصّوتيات تاريخًا، إصدارات مخبر اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة سعد دحلب، قطب العفرون، البليلة، 2013 م، ص 78.

²-المرجع نفسه، ص 79.

³-حسام البهنساوي، المرجع السّابق، ص 21.

تناول علماء التّجويد في مؤلّفاتهم الحالات الصّوتية المختلفة والتّغييرات التي تطرأ على الصّوت في أثناء النّطق، وأوضحوا حالات الإدغام والغنة، وفصلوا القول في حالات الإمالة، وبيّنوا أسبابها وأحكامها وعرفوا الوقف وذكروا أقسامه وأحكامه وبيّنوا ظاهرة المدّ وأنواعه وأحكامه وغير ذلك من الظواهر الصّوتية مثل: الإعلال والإبدال والإشمام والإخفاء والإظهار وما إلى ذلك من المسائل الصّوتية التي لها علاقة وثيقة بعلم التّجويد.¹

6 - علم الأصوات عند المحدثين:

درس المحدثون الصّوت اللّغوي دراسة علمية دقيقة مستعينين بالوسائل الآلية الحديثة المتطورة، وهدفهم من التّحليل الصّوتي هو الكشف عن خصائص الصّوت اللّغوي ومميزاته وطريقة استعماله الصّحيح للغة، وبالأخصّ مخارج الحروف، فتجد الصّوت اللّغوي عند الدّكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللّغوية: "هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة، فعند اندفاع النّفس من الرّئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل من خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن...".²

كما يقول تمام حسان عن الصّوت اللّغوي: "فالصّوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النّطقي و تصحبها آثار سمعية معيّنة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصّوت وهو الجهاز النّطقي ومركز استقباله وهو الأذن، ولا بدّ لدراسة هذه العمليّات النّطقية والآثار المصاحبة من أن تكون ملاحظة حسية وأحياناً معملية للباحث فيها فضل الملاحظة والتّسجيل".³

-غانم قدوري الحمد، الدّراسات الصّوتية عند علماء التّجويد، دار عمار للنشر والتّوزيع، عمّان- الأردن، ط2، 1428هـ-2007م، ص49.

²-إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1979 م، ص 08.

³-تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، المكتبة الثّقافية، الدّار البيضاء، المغرب، ص 66.

- نلاحظ من خلال تعريف تمام حسان للصوت اللغوي أنه وصفه بأنه ذلك الأثر السّمي الذي ينتج من إرسال الصوت من الجهاز النّطقي إلى الجهاز السّمي الذي هو الأذن وبالتالي فقد أعطى التعريف الكامل والدّقيق.

أمّا أحمد مختار عمر فيعرّف الصوت اللغوي بأنه: "الصوت الناتج عن اهتزاز الأوتار الصوتية حين مرور الهواء بها، أي هو الصوت الذي يكون مصدره الجهاز النّطقي عند الإنسان...".¹

نستنتج من خلال تعريفات المحدثين للصوت اللغوي، أنهم لم يختلفوا كثيراً في تحديدهم لمفهوم الصوت، ممّا يشير إلى تقارب وجهات نظرهم حول الظاهرة الصوتية.

7- أهمية علم الأصوات:

لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما، أو لهجة ما دراسة علمية، ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصوتية، فالكلام -أولاً وقبل كلّ شيء- سلسلة الأصوات، فلا بدّ من البدء بالوصف الصوتي للمقاطع الصغيرة أو العناصر الصغيرة، وأقصد أصغر وحدات الكلمة.

بين اللغويون و اللسانيون في العصر الحديث أهمية الدراسة الصوتية في العصر الحديث أهمية الدراسة الصوتية في العديد من مؤلفاتهم، ذاكرين مواطن الاستفادة منها، فهي تشير إلى حقائق عن كيف تصنع الأصوات، وتعطي أسماء لهذه الحقائق، وباستعمال المصطلحات التي توفرها الفونيتيكا، يمكننا وصف كيف تتميز الأصوات عن بعضها البعض، وتصنّف معاً الأصوات التي تشترك في أسلوب معيّن لإخراجها.

وهذا ما يقتضيه تحليل اللغة ووصفها، إذ يصعب أن نحرك مختلف جوانب لغة ما ونقصد بها الجوانب الصرفية والنحوية والدلالية، قبل إدراك جانبها الصوتي الذي تنتظمه جملة من القوانين تبنى عليها بقية الجوانب الأخرى.

¹-أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص 98.

وإذا كان جلّ اللغويين يولون الجانب الأكبر من دراستهم -عادة- إلى الجوانب النحوية والصرفية أو الدلالية، فقد صار من الضروري الاهتمام بالجانب الصوتي، وإعطائه حقه من الدراسة، بل أصبح واجب دراسة الصرف والنحو، إذ إنّ السيطرة على اللغة لا تتمّ بدون دراسة أصواتها.¹

¹-منال أبو الحسن، مرجع سابق، ص 23.

الفصل الأول: التّناسب الصّوتي

تمهيد:

يعدّ التناسب الصوتي صورة للترباط والانسجام والتناسق في القرآن الكريم ، وآية من آيات الإعجاز المتجلّي في أسلوبه المتميّز ، فحين تجتمع الأصوات في القرآن الكريم وتتآلف وتتسجم وتتلاءم فيما بينها تكسب القرآن إيقاعاً صوتياً رائعاً ، فعندما نقرأ القرآن بتدبّر وتمعّن ندرك أنّه يمتاز بأسلوب إيقاعي ساحر يستلهم أذن السّامع وتخشع له النفوس وتتدبّر له الألباب.

لقد حظي الجانب الصوتي للقرآن باهتمام بالغ بين أوساط الدّارسين واللّغويين فتضافرت جهودهم لرفع اللبس عنه باعتباره يحمل دلالة عميقة على حسن علاقة التّآلف القائمة بين صوت الحرف ، والمعنى المراد في سياقه في الكلام ، ومن صور التّناسب في القرآن الكريم كذلك تناسب الفواصل ، فللفاصلة قيمة إيقاعيّة تبرز في الجرس الصوتي العذب الذي تحدّثه .

وما دام الموضوع الذي نحن بصدد دراسته يتعلّق بالتناسب الصوتي في القرآن الكريم ، فلا مناص من التّعريض لجملة من المسائل النظريّة المتعلّقة به وبالتحديد في هذا الفصل والذي سنعرّج فيه لكلّ من مفهوم التّناسب و مفهوم الصّوت و مفهوم التّناسب الصوتي ، و التّناسب الصوتي في القرآن الكريم و مخارج الأصوات وصفاتها في اللّغة العربيّة.

المبحث الأول: ماهية التناسب الصوتي .

1.1. مفهوم التناسب لغة واصطلاحاً:

1.1-أ-التناسب لغة:

جاء في معجم لسان العرب للابن منظور: مادة نَسَبَ: "النَّسَبُ: نَسَبُ الْقَرَابَاتِ، وَهُوَ وَاحِدُ الْأَنْسَابِ، ابْنُ سَيْدِهِ: النَّسَبَةُ وَالنُّسْبَةُ وَالنَّسَبُ: الْقَرَابَةُ، وَقِيلَ هُوَ فِي الْأَبَاءِ خَاصَّةً وَقِيلَ: النَّسَبَةُ مَصْدَرُ الْإِنْتِسَابِ، وَفُلَانٌ يُنَاسِبُ فُلَانًا فَهُوَ نَسِيبُهُ أَيْ قَرِيبُهُ، وَتَنَسَّبَ أَي أَنَّهُ ادَّعَى أَنَّهُ نَسِيبُكَ"¹.

يَبْضَحُ لَنَا مِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِ ابْنِ مَنْظُورٍ أَنَّ النَّسَبَ فِي اللُّغَةِ يَعْنِي الْقَرَابَةَ وَالْمُشَارَكَةَ، فَالْنَّسِيبُ هُوَ الْقَرِيبُ.

كَمَا وَرَدَ فِي مُعْجَمِ الْعَيْنِ لِلخَلِيلِ ابْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ مَادَّةُ نَسَبَ: "نَسَبَ: النَّسَبُ فِي الْقَرَابَاتِ، فُلَانٌ نَسِيبِي، وَهَؤُلَاءِ أَنْسَابِي، وَرَجُلٌ نَسِيبٌ مَنْسُوبٌ: ذُو حَسَبٍ وَنَسَبٍ، وَالنُّسْبَةُ: مَصْدَرُ الْإِنْتِسَابِ، وَالنُّسْبَةُ: الْأِسْمُ، وَالنَّسَبُ فِي الشَّعْرِ: مَا كَانَ نَسِيبًا. شَعْرٌ مَنْسُوبٌ وَجَمَعُهُ مَنْاسِبٌ، وَهُوَ الشَّعْرُ فِي النِّسَاءِ، وَمَا أَحْسَنَ نَسِيبَهُ، أَي مَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ فِي النِّسَاءِ، قَالَ الْكُمَيْتُ: إِذْ أَنْتَ أَغِيدُ مِنْ أَشْعَارِكَ النَّسَبُ.

وَالنَّسِيبُ وَالنَّسِيبَانُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَدَقُّ الْوَاضِحُ، كَطَّرِيقِ النَّمْلِ وَالْحَيَّةِ، وَطَّرِيقُ حُمْرِ الْوَحْشِ إِلَى الْمَوْرَدِ، وَهُوَ طَّرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ"².

نفهم من قول الخليل أن مادة نَسَبَ تجمع أكثر من معنى حيث أنها تمثل القرابة والصلة، وكذلك تعني المشابهة والمشاكله .

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار صادر، بيروت-لبنان، ط 2008، ص 242، مادة نَسَبَ.
² الخليل ابن أحمد الفراهيدي ت. ف 170 هـ، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 2003م-1424هـ، ج 4، ص 214، مادة نَسَبَ.

وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي مُعْجَمِ أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ: " نَسَبٌ: لَهُ نَسَبٌ فِي بَنِي فُلَانٍ، وَتَفَاخَرُوا بِالْأَنْسَابِ، وَفُلَانٌ حَسِيبٌ نَسِيبٌ: ذُو حَسَبٍ وَنَسَبٍ، وَهُوَ نَسِيبِي وَهُمْ أَنْسَابِي، وَقَدْ نَاسَبُونِي، قَالَ الشَّمَاخُ:

فَالْحَقُّ بِبَجَلَةٍ نَاسَبَهُمْ وَكُنْ مَعَهُمْ حَتَّى يُعِيرُوكَ مَجْدًا غَيْرَ مَوْطُودٍ

وَقَوْمٌ كَرَامٌ الْمَنَاصِبِ وَالْمَنَاسِبِ، وَهُوَ يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ، وَيُنْسَبُ وَيُنْتَسَبُ، وَرَجُلٌ نَسَابَةٌ: عَلَّامَةٌ بِالْأَنْسَابِ وَمَنْ الْمَجَازُ: بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ مُنَاسَبَةٌ وَتَنَاسَبٌ وَلَا نَسَبَةٌ بَيْنَهُمَا، وَبَيْنَهُمَا نَسَبَةٌ قَرِيبَةٌ، وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَنَسَبَنِي فَانْتَسَبْتُ لَهُ " ¹.

يشير الزمخشري إلى أن النسب لغة يعني القرابة، كما يقصد به كذلك المناسبة والمشابهة.

1.1-ب-التناسب اصطلاحاً:

لقد وردت العديد من التعريفات الاصطلاحية للتناسب نجد من بينها تعريف البقاعي (885هـ) حيث يقول: "علم مناسبات القرآن علم تُعرَفُ منه عللُ ترتيبِ أجزائه، وهو سرُّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطالبة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها " ².

لقد ربط البقاعي من خلال تعريفه للتناسب علم المناسبات بعلم البلاغة، فالمناسبة سرُّ البلاغة.

كما نجد معنى التناسب عند ابن قيم الجوزية في قوله: "هو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلائم ولا تتنافر، والقرآن العظيم كله متناسب لا تتنافر فيه ولا تباين ومنه قول النابغة:

الرِّفْقُ يَمُنُّ وَالْأَنَاةُ سَعَادَةٌ فَاسْتَأْنَسَ فِي رَفْقٍ تَتَالِ نَجَاحًا
وَالْيَأْسُ عَمَّا فَاتَ يَعْقِبُ رَاحَةً وَلِرُبِّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذَبَاحًا

¹-جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت- لبنان، ص 629.

²-البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب الإسلامي، القاهرة-مصر، 1404 هـ، ج1، ص 6.

ويسمى التشابه أيضا وقيل التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة ولكن متقاربة في الجزالة والمتانة والدقة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لألفاظها¹.

يظهر لنا من قول ابن القيم الجوزية أن التناسب هو تلاؤم المعاني في القرآن الكريم، كما يقصد به التشابه الذي هو التقارب بين الألفاظ وتتاسبها في الدقة والسلاسة.

ويقول د. أحمد يحيى علي محمد: "وأما دلالاته الاصطلاحية فإن الناظر في المصادر البلاغية لا يكاد يظفر بتعريف محدد يتفق عليه البلاغيون، فمنهم من أشار إليه شارحا مفهومه اللغوي عن طريق الاستشهاد ومنهم من أتى بالأمثلة دون أن يحدد دلالاته الاصطلاحية إلا إشارات مقتبسة تضمنت دلالاته الاصطلاحية التي لم تختلف عن دلالاته اللغوية كثيرا"².

يشير أحمد يحيى علي محمد إلى أن مفهوم التناسب في الاصطلاح لا يختلف عن مفهومه اللغوي فهو يدل على الترابط والتقربة والصلة.

وعند ابن طباطبة العلوي (322هـ) مصطلح التناسب يعني "ملائمة معاني الشعر لمبانيه"³.

لقد ربط ابن طباطبة العلوي مصطلح التناسب بالشعر حيث أنه يعني التوافق والتلائم بين معنى الشعر ومبناه.

¹-شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب المزرجي المعروف بابن القيم إمام الجوزي (ت ف، 751)، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1402هـ-1982م، ص 125.

²-أحمد محمد علي، أحمد يحيى علي محمد، التناسب في سورة محمد: دراسة بلاغية تحليلية، دار النشر آداب الزافدين المدينة، ط5، العدد 60، 1432هـ 2011م ص 04.

³-محمد أحمد ابن طباطبة العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1402هـ-1982م، ص 125.

2. الصوت لغة/اصطلاحاً:

2.1-أ-الصوت لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور: في مادة (ص و ت): "الصوت: الجرس معروفٌ مُذَكَّرٌ وَالْجَمْعُ أَصْوَاتٌ، وَقَدْ صَاتَ: يَصُوتُ تَصْوِيئًا فَهُوَ مُصَوِّتٌ، وَذَلِكَ إِذَا صَوَّتَ بِإِنْسَانٍ فَدَعَاهُ، وَيُقَالُ: صَاتَ يَصُوتُ صَوْتًا فَهُوَ صَائِتٌ مَعْنَاهُ صَائِحٌ"¹.

يتضح من خلال قول ابن منظور أن المعنى اللغوي للصوت هو ذلك الجرس الذي يصدره الإنسان عندما يتكلم أو ينادي شخصاً بعيداً عنه.

ويقول ابن فارس في مادة (ص و ت): "الصَادُ وَالْوَاوُ وَالنَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَهُوَ الصَّوْتُ، وَهُوَ حَبْسٌ لِكُلِّ مَا وَقَعَ فِي أُذُنِ السَّمِيعِ، يُقَالُ هَذَا الصَّوْتُ زَيْدٌ وَرَجُلٌ صَيِتٌ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الصَّوْتِ"².

فالصوت عند ابن فارس هو ما تستقبله أذن السامع وهو الهواء الذي يخرج من جهاز النطق للمتكلم من ذبذبات.

وعرفه ابن جنّي في كتابه سرّ صناعة الإعراب قائلاً: "اعلم أنّ الصوتَ عَرَضٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّفْسِ مُسْتَطِيلًا مُتَّصِلًا حَتَّى يَعْرِضَ لَهُ الْحَلْقُ وَالْفَمُّ وَالشَّفَتَيْنِ مَقَاطِعَ تُنْتَبِهُ عَنْ امْتِدَادِهِ وَاسْتِطَالَتِهِ، فَيُسَمَّى الْمَقْطَعُ أَيَّمَا عَرِضٍ لَهُ حَرْفٌ وَتَخْتَلِفُ أَجْرَاسُ الْحُرُوفِ حَسَبَ اخْتِلَافِ مَقَاطِعِهَا".

يتبين لنا من تعريف ابن جنّي أن الصوت هو عارض يخرج من النفس وهو مفروض على النفس، فهو يتشكّل بأشكال جهاز النطق من الحلق، الفم، الشفتين.

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، ط6، 2008م، ص 302.

² أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج1، تح: عبد السلام هارون.

وهي أماكن حدوث الأصوات بعض السكّات الحلقية والقموية والشفوية ويتمّ الصوت اللغوي عبر مراحل حيث ينشأ باصطدام المندفع من الرتتين بالأوتار الصوتية في الحنجرة ثم يمرّ من خلال الفم و الأنف حتى يصل إلى أذن السامع.

2.1-ب- الصوت اصطلاحاً:

يعرّف الجاحظ الصوت بقوله: "الصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التّأليف".¹

ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ومنثوراً إلاّ بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتقطيع والتّأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسب بالبيان مع الذي يكون مع الإشارة من الدال والشكل والثني واستدعاء الشهرة وغير ذلك من الأمور.² ويتّضح لنا من خلال تعريف الجاحظ للصوت أنّه آلة من ألفاظ وهو الأساس الذي يقوم عليه التقطيع وبه يوجد التّأليف.

ويقول إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية: " الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أنّ لكل صوت مسموع يستلزم جسماً يهتزّ على تلك الهزّات لا تدرك بالعين في بعض الحالات.³ ويتبيّن لنا أنّ الصوت عبارة عن هزّات مصدرها الحنجرة والجهاز النطقي ومدّة الهزّات لا ندركها بالعين، وتخرج هذه الهزّات على شكل موجات تستقبلها أذن السامع.

¹-أبي عثمان عمر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: درويش جودي . المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 2014م، ج1، ص 58.

²-المرجع نفسه ، ص 59.

³-إبراهيم أنيس، مرجع سابق، ص 9.

أما صبري المتولّي فيقول في تعريفه للصوت: " أصغر وحدة منطوقة مسموعة يمكن الإحساس بها عند التحليل اللغوي ولا يمكن النطق إلا بها من خلال المقطع يكون فيه الصامت مصحوبا بالصائت " ¹.

3.1. مفهوم التناسب الصوتي:

تتميز اللغة العربية بسعة مدرجها الصوتي، حيث أنّ تقابل أصوات الطبيعة وتنوعها يؤدّيان إلى الانسجام والتناسب بين الأصوات، أو ما يسمّى بالتناسب الصوتي.

يعرّف إبراهيم جميل محمّد إبراهيم التناسب الصوتي بأنّه: " إحداث مماثلة بين أصوات اللغة في سياق لغوي واحد على مستوى الصوائت قصيرة أو طويلة، أو الصوامت أو الصيغ أو التراكيب هذه المماثلة تؤدّي إلى تغيير بعض الصيغ بتغيير بعض الصوائت قصيرة أو طويلة، أو تناسب الفواصل " ².

نستنتج من تعريف إبراهيم جميل محمّد إبراهيم أنّ التناسب الصوتي هو تلك المماثلة والتآلف الصوتي الذي يحدث بين الكلمات في اللغة العربية.

كما يقول أحمد أبو زيد عن التناسب الصوتي : "حين تجتمع الكلمات في الجمل والعبارات، تكتسب جرسا موسيقيا آخر زيادة على ما كان لها من موسيقى فردية، وذلك مثل تشابه بعض الكلمات في الوزن، أو في الموقع وتعاقب كلمتين متشابهتين في الوزن أو الرنين، أو تساوي بين فقرتين أو جملتين في عدد الكلمات أو في وزن كلّ منهما، أو في تماثل الكلمتين الأخيرتين، أو في التشابه الذي يبرز في فقرات متكافئة " ³.

إذا يتّضح لنا من خلال قول أبو زيد أنّ التناسب الصوتي هو ذلك الانسجام والتلاؤم الذي يحصل بين الأصوات بعضها مع بعض و بينها و بين السياق الواردة فيه .

¹-صبري المتولّي، دراسات علم الأصوات، زهراء الشرق، القاهرة-مصر، ط 1، 2006م، ص 29.

²-إبراهيم جميل محمّد إبراهيم، أثر التناسب الصوتي في الإعراب، دراسة تطبيقية على آيات من القرآن، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الدمام، ط1، 1422هـ-2005م، ص 03.

³-أحمد أبو زيد التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1992م، ص 216.

المبحث الثاني : التناسب الصوتي بين القدماء والمحدثين .

1.2. التناسب الصوتي عند القدماء :

تناول القدماء التناسب الصوتي ضمن مباحث عديدة كاجتناب التناثر الصوتي، والمشكلة و التجنيس، والإتباع للمجاورة، والفاصلة .

1.1.2. اجتناب التناثر الصوتي :

إذا عدنا إلى تراث القدماء نجدهم قد اهتموا بظواهر التناسب الصوتي حيث نجدهم اعتمدوه كمبدأ أساسي في تفسيرهم لعدد من الظواهر اللغوية.

حيث نجد من مظاهر اجتناب تتابع الأصوات المتماثلة أو المتقاربة عدم الجمع بين الظائنين في سياق واحدة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ سورة النحل 61، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ سورة فاطر 45 .

قال الخطيب الإسكافي: " المراد ما كسبوا من الآثام وإن كان كسب يستعمل الخير والشر " .

كقوله تعالى: " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " . فلما حذر الإنسان بهذه اللفظة ما تجنيه يداه ويكون هو المؤاخذ به دون من عداه وجاء بعده: " وما ترك على ظهرها " . والمراد ظهر الأرض، ولم يذكر الظهر في الآية الأولى لتقدم الظاء في المبتدأ بعد لو، والظاء تعز في كلام العرب، ألا ترى أنها ليست الأمة من الأمم سوى العرب، فلما اختصت بلغتها وتجنبت إلا فيها، جواب ما بعد (لو) ... وأجريت مجرى ما استعمل من الحروف، فلم يجمع بينهما في جملتين معقودتين عقد الكلام واحد وهو ما ما بعد (لو) وجوابها، على أهل البلاغة.¹

¹-الإسكافي الخطيب أبو عبد الله، درة التزليل وغرة التأويل، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت-لبنان، 1401هـ-1982م، ص 271.

وقد يأتي النظم القرآني باجتناب تكرار حروف الحلق في كلمتين متتابعتين كما في قوله تعالى: " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم" المجادلة 7، فابن الأثير يرجع ذلك إلى أمرين أحدهما الخشية من المجيء نظم الكلام معيبا لثقله على النطق والسمع لبشاعة تكرار لفظ الترتيب بغير حاجز يباعد بين اللفظين، فإنه لو قيل بعد قوله: (إلا هو رابعهم ولا أربعة)، ثقل الكلام لمجاورة لفظين فيهما أربعة أحرف من حروف الحلق وهما العينان والهاءان والأمر الثاني الذي منع ذكر الأربعة هو تجنّب تكرار المعاني والألفاظ بغير فائدة.

وفي هذا الباب ... فإن الآية الكريمة يتوجّه على ظاهرها أسئلة منها: لم ألغى فيها الابتداء بالاثنتين، وهي أول رتبة المتتابعين؟ ومنها لم انتقل من الثلاثة إلى الخمسة، وعدل عن الترتيب في الانتقال من الثلاثة إلى الأربعة؟ ومنها لم يتجاوز الثلاثة؟ ومنها لم يقل ما يكون نجوى ثلاثة ويقف عند ذلك ويستغنى به وله بعدها: " ولا أدنى من ذلك ولا أكثر فيتناول الأدنى من الاثنتين والأكثر من الأربعة إلا ما لا نهاية له من الأعداد، ولم عدل من الأوجز إلى الأطول، مع توقيه الأوجز بالمعنى المراد.¹

نلاحظ كيف استند ابن الأثير إلى مبدأ التناسب الصوتي في تعليل مجيء النظم على صورته.

وفي قوله تعالى: " ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم " {الأنعام 6}، عدل عن تكرار صوت الكاف ثلاث مرات في ما هو كالكلمة الواحدة فجيء بفعل (مكّن) متعدّيا بنفسه في قوله: " ما لم نمكّن لكم ولو عدّاه بنفسه هنا كما في كلمة الأولى لتوالي حرف الكاف ثلاث مرات، ويظهر ذلك عند النطق الصحيح لأن النون الساكنة تخفى في النطق قبل حرف الكاف، فإذا أخفيت في قولنا: " ما لم نمكّنكم اتّصل صوت الكاف المشدّد بصوت الكاف الذي بعد النون، ومع ذلك تتابع صوتي ثقيل على اللسان.²

¹- ابن أبي الأصبغ، بدیع القرآن، تح: حقي محمد شرف، دار نهضة، ط2، مصر، القاهرة، ص 334.

²- أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص 302.

تجنّب القرآن تكرار حرف السين ثلاث مرات على التتابع قال تعالى: "وقد خاب من دساها
1."

الأصل: دسها فأبدل السين الأخيرة ياءً، تجنّباً لتكرار الحرف الواحد.
أحد الحرفين المكررين حرف آخر غيره: فقالوا: أمليت الكتاب والأصل: أمليت فأبدلوا
اللام ياءً طلباً للخفة وإذا كانوا قد فعلوا ذلك في اللفظة الواحدة فما بالك بالألفاظ الكثيرة.
قال ابن الأثير: "اعلم أنّ العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير
الحروف في كثير من كلامهم... ولشدة كراهيتهم لتكرير الحروف أبدلوا أحد الحرفين المكررين
حرف آخر غيره: " فقالوا: أمليت الكتاب والأصل: أمليت فأبدلوا اللام ياءً طلباً للخفة.

2.1.2. المشاكلة والتجنيس:

المشاكلة والتجنيس لون من ألوان البديع والمشاكلة بمفهومها العام أصل من أصول
العربية، تطلب في الكلام، ويترك أجلها ما هو قياس في الصّرف أو الإعراب، ويتعمدها
الفصحاء لما لها من قيمة جمالية.²
الشكل في اللغة: الشبه والمثل والجمع أشكال وشكول، وتشاكل السيئان وشاكل كلّ واحد منها
الآخر، أي شابهه ومائله، ويقال: هذا على شكل هذا أي مثاله. فالمشاكلة في اللغة تعني
الموافقة والمماثلة والمشابهة.³

وفي الاصطلاح: هي ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته.⁴

¹سورة الشمس، الآية 03.

²-المرجع نفسه.

³-ابن منظور، لسان العرب، ص 2310.

⁴-الحمودي ابن حجة نقي الدين أبو بكر علي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شعيت، دار ومكتبة الهلال، ط 1،
بيروت-لبنان، 1987م، ج 2، ص 252.

ونذكر من أهم السياقات القرآنية التي وردت فيها المشاكلة سياق المجازة، حيث تقع الآيات في الغالب متضمنة الإشارة إلى جزاء الله تعالى على الأفعال السيئة كالاستهزاء، السخرية، الخداع والمكر والنسيان.

فمن المجازة، التعبير بالاستهزاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)﴾.¹

قال الرّمخسري: "فإن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله، لأنه متعال عن القبيح، والسخرية من باب العيب والجهل ... قلت معناه إنزال الهوان والحقارة بهم، وقيل سُمي جزاء الاستهزاء باسمه²، وذلك لما بينهما من ملابسة، على سبيل المشاكلة والمماثلة."

قال الشّريف الجرجاني: "وذلك لما بين الفعل وجزائه من ملابسة قويّة، ونوع سببيّة مع وجود المشاكلة المحسنة هاهنا".

ومن مشاكلة المجازة التعبير بالسخرية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.³

قوله: ﴿سخر الله منهم﴾ قيل صيغة خبر، معناه الدّعاء وقيل معناه جازاهم على سخريتهم، وجزاء الشّيء قد يسمّى باسم الشّيء.

لقد سمّى الله تعالى عقوبة الكفّار باسم الذّنوب الذي ارتكبه ضدّ المؤمنين وهو السخرية وذلك من باب المشاكلة.

¹ - سورة البقرة، الآية 14 - 15.

² - أبو القاسم محمود بن عمر الرّمخسري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، ط1، الرّياض، 1418هـ - 1998م، ص 185.

³ - سورة التّوبة، الآية 79.

ومن مشكلة المجازة التعبير بالخداع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة النساء 142، قال أبو حيان الغرناطي: "ومعنى (وهو خادعهم) أي منزل الخداع بهم، وهذه عبارة عن عقوبة سماها باسم الذنب".¹

وأشار الرمخشري لمعناها بقوله: "(وَهُوَ خَادِعُهُمْ)"، وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا، وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

من مشكلة المجازة التعبير بالمكر في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ سورة آل عمران 54.

ومكر الله وهو مجازاته على المكر، سمي ذلك مكرًا لأن المجازة ناشئة عن المكر، وكثيرًا ما تسمى العقوبة باسم الذنب وإن لم تكن في معناه.² وقال العزّ بن عبد السلام: "سخرية الله واستهزأؤه ومكره وخدعه من مجاز التشبيه، ويجوز أن يكون من مجاز تسمية المسبب باسم سببه، فإنّ سخريته تعالى واستهزأؤه ومكره حسب استهزائهم ومكرهم وسخريتهم".³

ومن مشكلة المجازة التعبير بالنسيان في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ سورة الأعراف 51 .

والنسيان المسند إلى الله تعالى، فُسر على أنه: "يتركهم في العذاب، كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم".⁴

¹-أبي حيان الأندلسي الغرناطي محمّد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د ت)، ج 3، ص 535.

²-المحيط، 2/ 472.

³-العزّ بن عبد السلام بن عبد العزيز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، المطبعة العامرة، 1313 هـ، ص 109.

⁴-أبي حيان، البحر المحيط، ج 4، ص 395.

قال أبو حيان الغرناطي: "وإن قدر النسيان بمعنى الذهول من الكفرة، فهو من جهة الله تسمية العقوبة باسم الذنب".¹

فلقد ذكرنا في الأمثلة السابقة صور المشاكلة في مظهرها العام أمّا مظهرها الخاص، وقد وقع كثير منه في القرآن الكريم، فهو مشاكلة التجنيس، أو ما يعرف عند البلاغيين بفنّ الجناس أو التجانس.

ويقوم الجناس على التكرار أو المماثلة أو المشابهة، وهو على تنوعه عبارة عن اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيها.²

وعرّفه ابن الأثير بقوله: "أن يكون اللفظ واحد والمعنى مختلفا".³

3.1.2. الإتيان للمجاورة:

نقصد بالإتيان جعل اللفظين متناسبين من الناحية الصوتية لتجاورهما، وذلك تحقيقا لانسجام الكلام وسهولة النطق به واستعذاب السامع له.

ورد في كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة عن الفراء أنّ: "العرب إذا ضمّت حرفا إلى حرف، فربما أجزوه على بنيته، ولو أفرد لتركوه على جهته، ومن ذلك قولهم: إنني لآتية بالعشايا والغدايا، فجمعوا (الغداة) على (غدايا) لما ضمّت إلى العشايا، وأنشد للقلّاح بن حباب:

هتاك أخبية ولأج أبوبة
يخلط بالجدّ من البرّ واللينا

فجمع الباب على (أبوبة)، إذا كان متبعا (لأخبية) ن ولو أفرد لم يجر.⁴

ورد الإتيان في القرآن الكريم من خلال عدّة مظاهر أهمّها: تغيير صيغة اللفظ والحذف والزيادة، واختيار إحدى القراءتين، وتقابل الأوزان:

¹-المحيط 305/4.

²-العلوي الطراز، 301/3.

³-ابن الأثير المثل السائر، ج 1، ص 239.

⁴-ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، أدب الكاتب، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط 1، صيدا، بيروت، 1423هـ-2002م، ص 408.

1. تغيّر صيغة اللفظ فيمكن التمثيل له بقوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ سورة المرسلات: 5، 6.

قال الرّمخشري: " فإن قلت: ما العذر والنذر؟ وبما انتصبا؟ قلت: هما مصدران من عذر: إذا محا الإساءة، ومن أنذر: إذا خوّف على فعل¹."

ومع أنّ مصدر (أنذر) هو (إنذار) فقد جيء به في الآية معدولا به عن أصله تحقيقا للتناسب الصوتي على سبيل الإلتباع.

وقد يحدث التغيّر في بنية الفعل تحقيقا للتناسب الصوتي كما في قوله: ﴿وَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سورة العنكبوت 19 ويقول الرّمخشي في كتابه البرهان: "الأفصح أن يقال (بدأ) ثلاثي، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ سورة الأعراف 29، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ سورة العنكبوت 20، ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، فجاء به رباعيًا فصيحًا لما حسنه من التناسب وهو قوله: (يُعِيدُهُ)

فمع أنّ الفعل الرباعي من (بدأ) لا يكاد يستعمل في العربية، فإنّه لما ناسب موضعه في السياق حسن وجاد.

وأما الإلتباع عن طريق الحذف والزيادة فيمكن في التمثيل له بقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ سورة الأعراف 195، فالأصل أن يقال (فلا تُنظرونني)، ولكنّه " اجتزى فيه بحركة الكسر عن الياء لسبب إيقاعي هو تماثل الفواصل، لأنّ أواخر الآيات في سياقها ختمت بالنون في الأسماء والأفعال²."

¹ -الرّمخشري، الكشاف، ج 6، ص 286-287.

² -أحمد أبوزيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 275.

وأما الإتيان لمقابلة الأوزان فيكمن في التمثيل له بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ سورة يونس 49، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ سورة الفرقان 3.

لقد ذكر سبحانه لفظ (الضراء) قابله ب لفظ (التفع).

فلاحظ أنّ مراعاة حسن الإتيان بين تلك الألفاظ وغيرها يرافقه ذلك التناسب الصوتي والتّغيم الإيقاعي الذي يدلّ على تمييز الأسلوب القرآني المعجز. وكان من علامات الفصاحة وقوة البيان عند العرب مراعاة التشاكل والتناسب بين الألفاظ والعبارات في الكلام، فإنّ القرآن الكريم المثل الأعلى للفصاحة التي تراعي التلاؤم والتناسب الصوتي بين الألفاظ.

4.1.2. الفاصلة :

عني القدماء بدراسة الفاصلة في القرآن الكريم ، فقد سمّاها بعضهم سجعا وردّها آخرون ، وتعدّ الفواصل من أبرز مظاهر التناسب الصوتي في القرآن الكريم .

وقد عرّف العلماء الفاصلة سلبا وإيجابا ، ولم يمنعهم الاتفاق على مصطلح " فاصلة " أن يختلفوا في تعريفاتهم قول الرّماني : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني " .

وقول أبي بكر الباقلاني : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني " .

وقول أبي عمرو الداني : " الفاصلة : " كلمة آخر الجملة " .

وقول ابن منظور : " أواخر آيات في كتاب الله فواصل ، بمنزلة قوافي الشعر ، جلّ كتاب الله عزّ وجلّ واحدها فاصلة " .

وقول الزركشي : " الفاصلة هي كلمة آخر آية ، كقافية الشعر وقرينة السجع " .

وقول أحمد بدوي : " نعني بها تلك الكلمة التي تختتم بها الآية من القرآن " .¹

وهناك مصطلحات تداولها البلاغيون ودارسوا الإعجاز عبّروا من خلالها عن أوجه من التناسب الصوتي : أهمّها : التوازن ، أو المتوازنة ، السجع ، والترصيع ، التصدير .

ويعرّف الرّازي التّوازن بقوله: " إمّا أن يتّققا في عدد الحروف ولا يتّققا في الحرف الأخير فيسمّى بالمتوازن كقوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) ﴾ سورة الغاشية 15 -16 .

أمّا القزويني فقد عدّ التّوازن ، أحد أنواع السّجع وسمّاه سجع الموازنة ، وعرّفه بقوله : " أن تكون الفاصلتان / متساويتين في الوزن دون النّقي " .

وعرّف السّجع بقوله : " تواطؤ الفاصلتين من النّثر على حرف واحد ، وذكر أنّ الأسجاع من النّثر كالقوافي من الشعر " .

والترصيع يعرّف الرّازي بقوله : " وهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان ، متّفقة الأعجاز ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ سورة الغاشية 25 - 26 .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ سورة الانفطار 13-14 .

أمّا التصدير فأطلقه بعضهم على ظاهرة ردّ العجز على الصّدر² . ويعرّفه الرّازي بقوله : "وهو كلام وجد نصفه الأخير لفظ يشبه لفظاً موجوداً في نصفه الأوّل .ثمّ اللفظتان ،

¹ -محمّد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، دار عمّار للنشر والتّوزيع ، عمّان - الأردن ، ط2 ، 1421هـ- 2000 م ، ص 271 .

² - التّبريزي الخطيب ، الكافي في العروض والقوافي ، تح: الحساني عبد الله ، حسن عبد الله ، مطبعة الخانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1415هـ -1994 م ، ص 181 .

إمّا متشابهان في جميع الوجوه ، وهما إمّا أن يكونا موضوعين لمعنى واحد أو لمعنيين ، وإمّا غير متشابهين في جميع الوجوه بل في بعض الوجوه ، فإمّا أن يكون بين معنييهما مشابهة في بعض الوجوه ، وهما اللَّفظان المشتركتان في الاشتقاق ، أو لمشابهة بينهما أصلا في الحقيقة لكن في الصّورة وهما اللَّفظان اللَّتان بينهما شبه الاشتقاق . فظاهر أنّ وجوه المشابهة أربعة :

الأوّل : أن يشترك اللَّفظان صورة ومعنى .

الثّاني : أن يشتركا في الاشتقاق .

الثّالث : أن يشتركا في الاشتقاق .

الرّابع : أن يشتركا في شبه الاشتقاق .

ثمّ إنّ اللَّفظين المتشابهين ، إمّا أن يكونا طرفين أو حشوتين ، أو يكون الصّدر طرفيّا والعجز حشويّا ، أو يكون الصّدر حشويّا والعجز طرفيّا¹ .

ولعلّ أوّل ما يظهر لنا في علاقة التّصدير في كلّ ثنائيّة ، أنّها قائمة على صفة التّكرار ، باعتبار الدّلالة اللَّفظيّة ، وهذا التّكرار " يفضي إلى الصّرورة إلى سبك الكلام ، ضمّ أجزاءه

بعضها إلى بعض ، وحين يقوم السّبك على تشكيل منضبط ، فإنّه ينطوي حتما على بعد موسيقي يتجاوز الطّاقة الدّلاليّة المحدودة للكلام إلى طاقته الإيحائيّة المتجدّدة.²

وهكذا فإنّ القدماء عرفوا التّناسب الصوتي وتناولوه ضمن عدّة مباحث ومصطلحات

¹ - فخر الدّين محمّد بن عمر بن الحسين الرّازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص 63 .

كاجتناب التناثر والمشاكلة والتوازن و الترتيب وغيرها .

2.2. التناسب الصوتي عند المحدثين:

يتضح لنا بعد دراسة التناسب الصوتي عند القدماء أنّ هؤلاء قد قصرُوا نظرتهم على التناسق اللفظي بمعنى تناسب الأصوات مع بعضها البعض فقط، ولم يتناولوا تناسب الأصوات مع المعاني، حيث أنّهم " لم يتعمّقوا في بحث النظم الصوتي للقرآن، بل إنّهم لم يستعملوا مصطلحات (الإيقاع) و(الموسيقى) و(النغم) و(الجرس) في دراستهم أصلاً، وذلك أنّهم كانوا يشعرون بالحرص من نعت أيّ شيء من كتاب الله بأنّه ذو جرس أو إيقاع أو موسيقى ، أو بأنّه مشتمل على صفة من صفات الشعر أو الغناء، وفضّلوا أن يستعملوا مصطلحات أخرى كالفضاحة ، والجزالة ، الفخامة والعذوبة، السلاسة، وصفاء الديباجة، وحسن الوصف، وآثروها على أيّ كلمة تشتمّ منها رائحة الترتيم والنغم " . ارتبطت نظرة الدارسين المحدثين للتناسب الصوتي بروعة القرآن وجمال نظمه من حيث حلاوة الجرس وعذوبة الإيقاع، بما لهما من أثر كبير في تحريك النفوس والمشاعر لتقبّل المعاني، ويعتبر أبرز من تناول هذا الجانب من المحدثين هما مصطفى صادق الرافعي وسيد قطب.

1.2.2. الرافعي:

يلخص أحد الباحثين فكرة إعجاز النظام الصوتي في القرآن الكريم عند الرافعي بأنّها تكمن في أمرين اثنين:

توزيع حروف الكلمة والكلمات المجاورة لها على أعضاء النطق توزيعاً خاصاً، أو ترتيب وتوزيع الحروف ذات الصفات والمخارج الخاصة توزيعاً وترتيباً يؤدي إلى التوازن والانسجام والسهولة، مع ما يترتب على ذلك من استهواء نفسي.¹

فإعجاز النظام الصوتي عند الرافعي هو تلك الموسيقى الناشئة عن انسجام حروف القرآن الكريم وترتيبها وتناسقها، فهذه الموسيقى هي ما أدّى إلى الاستهواء النفسي لدى العرب حين

¹ -محمد إبراهيم شادي، إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميّز، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة-مصر، ص86.

نزل فيهم القرآن ، فلقد رأوا حروفه في كلماته وكلماته في جملة، ألحان لغوية رائعة، كأنها لإتلافها وتناسقها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها ، فلم يفهم هذا المعنى، وأنه أمر لا يقبل لهم به، وكأن ذلك أبين في عجزهم، حتى إن من عارضه منهم كمسيلمة جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظماً صوتياً أو باباً منه، وطوى عمّا وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني، كأنه فطن إلى أنّ الصدمة الأولى للنفس العربية إنما هي في أوزان الكلمات وأجرام الحروف دون ما عداها.¹

نفهم من هذا الكلام أنّ إعجاز النظام الصوتي للقرآن الكريم عند الرافعي يكمن في تناسب الأصوات وإيحاءاتها والأثر الذي يترتب في النفس البشرية من ترتيبها وتناسقها، وهو ما اعتبره من أبرز وجوه الإعجاز حيث يقول: "أنّ القرآن - إن فهمه أو لم يفهمه - إلاّ اعترته رقة للسجى والنظم، وأحسّ أنّ هذه الآيات تتموّج في نفسه بها مع أنّه لا يعتريه من ذلك شيء إذا هو سمع الألحان العربية في الغناء والشعر".²

وقد اعتمد الرافعي في إبراز ما ذهب إليه من أنّ إعجاز النظم الصوتي للقرآن الكريم وذلك في قوله تعالى في سورة النجم: "تلك إذا قسمة ضيزى" (النجم 22)، حيث يقول وفي القرآن لفظة غريبة هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قطّ إلاّ في موقعها منه، وهي كلمة (ضيزى) في قوله تعالى: "تلك إذا قسمة ضيزى" (النجم 22)، فإنّ السور التي هي منها، وهي سورة النجم مفصلة كلّها على الياء ، فجاءت الكلمة الفاصلة من الفواصل، ثمّ هي في معرض الإنكار على العرب إذ وردت في ذكر الأصنام بنات الله مع أولادهم البنات، فقال تعالى: "ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى"، فكانت غرابة في اللفظ أشدّ الأشياء ملائمة لغرابة القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلّها كأنّها تصوّر في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتّهكّم في الأخرى، هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصّة في اللفظة الغريبة التي تمكّنت في موضعها

¹ - الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1427هـ - 2007م، ج2، ص 183-184.

² - المرجع نفسه، ص186.

من الفصل، ووضعت حالة المتهم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغيرها اللفظية.¹

يتضح لنا من خلال ما سبق ذكره أن للرافعي نهج صوتي واضح في دراسة إعجاز القرآن من حيث أن العناصر اللغوية عنده تتألف بصورة محكمة وتتلاءم ونوع الصوت والوجه الذي ترد عليه والغرض الذي تساق له.

2.2.2. سيّد قطب:

تناول سيّد قطب التناسب الصوتي في القرآن في كتابه التصوير الفني في القرآن فقد كان هذا العمل من أكثر الأعمال توسّعا في هذا الموضوع.

يذهب سيّد قطب إلى أن إدراك أفاق التصوير الفني في القرآن لا يأتي إلا بالتوسّع في معنى التصوير حيث يقول: "فهو التصوير باللون، تصوير بالحركة، وتصوير بالتخيّل، كما أنّه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك في الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملأها العين والأذن، والحسّ والخيال، والفكر والوجدان".²

وبهذا التصوير تجلّت أسمى مظاهر التناسب والانسجام، حيث تحدّث سيّد قطب عن ذلك الإيقاع الصوتي الذي ينشأ من تخير الألفاظ ونظمها والذي يعدّ لونا من ألوان التناسب القرآني إذ يقول: "ومنها ذلك الإيقاع الصوتي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاصّ، ومع أنّ هذه الظاهرة واضحة جدّ الوضوح في القرآن، وعميقة كلّ العمق في بنائه الفني، فإنّ حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري، ولم يرتق إلى إدراك التعدّد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كلّ مع الجوّ الذي تطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤدّيها في كلّ سياق".³

¹-المرجع السابق، ص196.

²-سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط7، القاهرة، 1402هـ -1982م، ص 37.

³- المرجع السابق، ص 87.

وقد أورد سيد قطب العديد من الأمثلة القرآنية على التناسق في التصوير الذي ينشأ عن التناسب بين اللفظ وجرسه الصوتي.

تسمع الأذن كلمة "أثأثأث" في قوله: "يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم: أنفروا في سبيل الله، وأثأثأث إلى الأرض؟" فيتصور الخيال ذلك الجسم المثاقيل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل إن في هذه الكلمة "ثأثأث على الأقل من الأثقال؟" ولو أنك قلت: "ثأثأث، لثأث الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقل برسمها".¹

وتقرأ: "وإن منكم لمن ليبطئن" فترسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها، وفي جرس "ليبطئن" خاصة. وإن اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط فيها، حتى يصل ببطء إلى نهايتها؟ وتتلو حكاية قول هود: "أرأيتم إن كنت على بيئة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم. أنذرهمكموها وأنتم لها كارهون؟" فتحس أن كلمة "أنذرهمكموها" تصور جو الإكراه بإدماج كل هذه الضمائر في النطق، وشد بعضها إلى بعض، كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويشدون إليه وهم منه نافرون!²

وهكذا يبدو لون من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية، وأرفع من الفصاحة اللفظية، اللتين يحسبها بعض الباحثين في القرآن قديماً وحديثاً، أعظم مزايا القرآن!. وكذلك من الأمثلة التي استعملها سيد قطب في بيان تصوير القرآن، لفظة (كُتُبُوا) في قوله تعالى: "فَكُتُبُوا فِيهَا هُمْ وَالغَاوُونَ وَجُنُودُ إبليسَ أَجْمَعُونَ"، فكلمة (كُتُبُوا) يحدث جرسها صوت الحركة التي تم بها.

وكما هو الشأن كذلك في كلمة: "بِمُرَحْرَجِهِ" حيث يقول: "فَإِذَا سَمِعْتَ" وَمَا هُوَ بِمُرَحْرَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ" صوّرت لك كلمة "بِمُرَحْرَجِهِ"، المقدمة في التعبير على الفاعل لإبرازها. صورة المرحة المعروفة كاملة متحركة، ومن وراء هذه اللفظة المفردة".

¹ - المرجع نفسه، ص 91-92.

² - نفسه، ص 92.

وحقيقة إن وضع هاتين اللفظتين اللغوي هو الذي يمنحها هذه الصورة. وليس هو استعمال القرآن الخاص لهما، كما هو الشأن في الكلمات الماضية، التي اشتقها خاصة أو استعملها أول مرة ولكن اختيارهما في مكانيهما يحسب بلا شك في بلاغة التعبير.¹

وإلى جانب حديث سيد قطب عن ألفاظ القرآن الكريم وإيقاعها الذي يجسد غاية التناسب والتناسق فقد تحدث كذلك عن الفواصل وتنوعها إذ يقول: "أما نظام الفواصل والقوافي، فقد لاحظنا أنه يتنوع في السورة الواحدة، فأما تنوعه في السور يختلف بالقياس إلى الفواصل بين الطول والتوسط والقصر، وهو أشبه باختلاف بحور الشعر في الديوان الواحد، وقصارى ما يقال فيه: "إن الفواصل تقصر غالباً في السور القصار، وأنها تتوسط أو تطول في السور المتوسطة والطوال، وبالقياس إلى حرف القافية، يشتد التماثل والتشابه في السور القصيرة ويقل غالباً في السور الطويلة، وتغلب قافية النون والميم وقبلهما ياء أو واو وعلى جميع القوافي في سور القرآن، وذلك مع تعدد الأساليب الموسيقية ولو تشابهت القوافي في السور المختلفة".²

فمن المواضع التي لاحظنا فيها أن تغير نظام الفاصلة والقافية يعني شيئاً خاصاً ما جاء في سورة مريم. فالسورة تبدأ بقصة زكريا ويحي، وتليها قصة مريم وعيسى، وتسير الفاصلة والقافية هكذا: "يَكُرُّ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكْرِيَّا، إِذَا نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ: إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا.... إلخ".

"وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ شَقِيًّا.... إلخ".

إلى أن تنتهي القصتان على روي واحد. وفجأة يتغير هذا النسق بعد آخر فقرة في قصة

عيسى على النحو التالي:

" قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ

¹-المرجع السابق، ص93.

²-المرجع نفسه، ص107.

وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ... ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وِلْدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ... إلخ ."

وهكذا يتغير نظام الفاصلة فتطول، ويتغير نظام القافية فتصبح بحرف النون أو بحرف الميم وقبلها حرف مدّ طويل، وكأنتما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة، مستمداً منها، ولهجة الحكم تقتضي أسلوباً صوتياً غير أسلوب الاستعراض، وتقتضي إيقاعاً قوياً رصيناً، بدل إيقاع القصة الرضيّ المسترسل، وكأنتما لهذا السبب كان التغيير¹.

ويرى سيد قطب أن تنوع موسيقى الفاصلة وإيقاعها يتبع تنوع الأجواء التي ترد فيها هذه الفاصلة، كما أنّ الإيقاع الصوتي يتبع نظاماً خاصاً ينسجم مع الجوّ العامّ بصفة غير ثابتة. وقد أورد نماذج في هذا الباب منها سورة النازعات فقد جاءت بأسلوبين صوتيين وإيقاعين ينسجمان مع جوين فيهما تمام الانسجام ، أولها يظهر في هذه المقطوعة، السريعة الحركة، القصيرة الموجة، القويّة المبنى، تنسجم مع جوّ مكهرب، سريع النبض، شديد الارتجاج، على النحو التالي: "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْعًا" (النبأ (1-4) والثاني يظهر في هذه المقطوعة، الوافية الحركة ، الرخية الموجة، المتوسطة الطول، تنسجم مع الجوّ القصصي الذي يلي مباشرة في السورة حديث الكزة الخاسرة والزجرة الواحدة، وحديث الساهرة ، على النحو التالي: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذَا نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًىٰ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ: هَلْ لَكَ أَنْ تَرَكِّي؟ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى؟" . (سورة النازعات 15-19).

يتضح لنا من خلال ما سبق أنّ التناسب الصوتي ظاهرة ثابتة في القرآن الكريم عني القدماء بدراسته ضمن مباحث متعدّدة واستكمل المحدثون بدراستهم بعض النقائص التي بدت لدى القدماء.

¹-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص 108-109.

المبحث الثالث: التناسب الصوتي في القرآن الكريم.

1.3. تأليف الأصوات وتناسبها:

لا يظهر تناسب الأصوات من تنافرها إلا في حال التأليف، إمّا في لفظة مفردة، وإمّا في ألفاظ مؤلّفة، لأنّ التأليف هو المسرح الذي تلتقي فيه الأصوات على اختلاف مخارجها وصفاتها، فتتداخل أجزاسها، وتتجاوب نغماتها، وعلى قدر تناسبها في الامتزاج تكون حلاوة الإيقاع، ورشاقة الصياغة.

ولهذا فإننا نحتاج إلى تقديم نبذة عن طرق التأليف التي تتيح للأصوات أن تكون متناسبة.

تناول اللغويون والبلاغيون القدماء هذه المسألة ضمن حديثهم عن تنافر الأصوات وتلاؤمها، وقد اختلفت آراؤهم، فذهب جماعة منهم: ابن دريد، وابن جنّي، وابن سنان الخفّاجي إلى اعتبار تباعد مخارج الأصوات علّة تناسبها في التأليف.

وذهب جماعة أخرى، منهم الخليل بن أحمد، وأبو الحسن الرّمانّي، وبهاء الدّين السّبكي إلى اعتبار الاعتدال علّة تناسبها، واعتبار التّباعد الشّديد والتّقارب الشّديد سببا لتنافرها. وذهب ابن الأثير إلى جعل حاسّة السّمع معيارا لتناسبها وتنافرها، وفيما يلي تفصيل آراء الفريقين:

1.1.3. رأي ابن دريد:

قال في الجمهرة: " أعلم أنّ الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللّسان منها إذا تباعدت، لأنّك إذا استعملت اللّسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الذّلاقة، كلفته جرسا واحدا، وحركات مختلفة، ألا ترى أنّك لو ألّفت بين الهمزة والهاء والحاء، فأمكن، لوجدت الهمزة تتحوّل هاءً في بعض اللّغات لقربها منها، ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحوّل هاءً، وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف".

وقال: "وأعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحدة في كلمة واحدة لصعوبة ذلك على الألسنة، وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا مثل "أخ" بلا فاصلة، مثل "أخذ" و"أهل" و"عهد"، غير أن من شأنهم إذا أرادوا هذا أن يبدأوا بالأقوى من الحرفين، ويؤخرون الألين".¹

2.1.3. رأي ابن جني:

ذكر في: "سر صناعة الإعراب" أن "التأليف على ثلاثة أضرب: أحدها: تأليف الحروف المتباعدة، وهو أحسنه، وهو أغلب في كلام العرب، والثاني الحروف المتماثلة (...). وهو ما يلي الأول في الحسن الثالث: الحروف المتقاربة، فإما رفض وإما قل استعماله وإنما كان أقل من المتماثلين، وإن كان فيهما ما في المتقاربين وزيادة لأن المتماثلين يخفان بالإدغام".

3.1.3. رأي ابن سنان الخفاجي:

ذكر من شروط فصاحة اللفظ والتأليف أن يكون من حروف متباعدة المخارج، وقال: "وعلة هذا واضحة، وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري مع السمع مجرى الألوان من البصر. ولا شك أن الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في المنظر أحسن الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصفر، وبعد ما بينه وبين الأسود. وإذا كان هذا موجودا لا يحسن النزاع فيه، كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة كالعلة في حسن النقوش، إذا مزجت من الألوان المتباعدة".²

وأورد رأي الزماني الذي ذهب فيه -نقلا عن الخليل بن أحمد- إلى جعل التباعد الشديد و التقارب الشديد بين الحروف سببا لتنافرها في التأليف، وأنكره، وأكد أن التنافر ليس في بعد ما بين مخارج الحروف، وإنما هو في القرب، وقال: "ويدل على صحة ذلك الاعتبار، فإن هذه الكلمة (ألم) غير متنافرة، وهي، مع ذلك، مبنية من حروف متباعدة المخارج، لأن الهمزة

¹-أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 292 - 293.

²-الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ت 644، سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية 1982م-1402 هـ، ص 64.

من أقصى الحلق، والميم من الشفتين، و اللام متوسطة بينهما. وعلى مذهبه "يعني الرماني" كان يجب أن يكون هذا التأليف متنافراً، لأنه على غاية ما يكون من البعد، وكذلك "أم" و "أو"، لأنّ الواو من أبعد الحروف من الهمزة. وليس هذان المثالان مثل: "عح"، ولا "سر"، لما يوجد فيهما من التنافر، لقرب ما بين الحرفين في كلّ كلمة ومتى اعتبرت جميع الأمثلة لم تر للبعد الشديد وجها من التنافر على ما ذكره، فأما الإدغام و الإبدال فشاهدان على التنافر في قرب الحروف دون بعدها. لأنهما لا يكادان يردان في الكلام إلاّ فرارا من تقارب الحروف، وهذا الرأي يجب عندي اعتماده."

4.1.3. رأي الرماني:

يرى أبو الحسن الرماني أنّ التأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا، وأنّ السبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، وكلما كان أعدل كان أشدّ تلاؤماً.

والتعديل بين الحروف، كما يفهم في كلام الرماني، هو أن لا تكون شديدة التقارب ولا شديدة التباعد في مخارجها.

يوضح ذلك ما قاله في سبب التنافر، فالسبب فيه . فيما نقله عن الخليل بن أحمد . البعد الشديد أو القرب الشديد، "وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفرة، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال".

وقال: "والتلاؤم في التعديل من غير شديد أو قرب شديد، وذلك يظهر بسهولة على اللسان، وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع، فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحّة البرهان، في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام".

وقال: "وبعض الناس أشدّ إحساساً بذلك وفطنة له من بعض، كما أنّ بعضهم أشدّ إحساساً بتمييز الموزون من الشعر من المكسور، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطّباع كاختلافهم في الصّور والأخلاق".

5.1.3. رأي بهاء الدّين السّبكي:

يرى أنّ تناسب الأصوات في التّأليف فيكون في الاعتدال، وأنّ التّنافر بينهما يكون إمّا لتباعد الحروف جداً، أو لتقاربها جداً، قال: "ويشبه استواء تقارب الحروف وتباعدها في تحصيل التّنافر استواء المثليين اللّذين هما في غاية الوفاق، والضّدين اللّذين هما في غاية الخلاف، في كون كلّ من المثليين والضّدين لا يجتمع مع الآخر، فلا يجتمع المثلان لشدّة تقاربهما ولا الضّدان لشدّة تباعدهما، حيث دار الحديث بين الحروف المتباعدة والمتقاربة، فالمتباعدة أخفّ".

وقال: "رتب الفصاحة متفاوتة، فإنّ الكلمة تخفّ وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قريباً أو بعداً، فإن كانت الكلمة ثلاثيّة فتراكيبها اثنا عشر:

الأوّل: الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو "ع د ب"

الثّاني: الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط نحو "ع ر د"

الثّالث: من الأعلى الأدنى إلى الأعلى نحو "ع م ه"

الرّابع: من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى: نحو "ع ل ن"

الخامس: من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى نحو: "ب . د . ع"

السّادس: من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط نحو: "ب . ع . د"

السّابع: من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى نحو: "ف . ع . م"

الثّامن: من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو: "ف . د . م"

التّاسع: من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى نحو: "د . ع . م"

العاشر: من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى نحو: "د . م . ع"

الحادي عشر: من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى نحو: " ن . ع . ل "

الثاني عشر: من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط: نحو: " ن . م . ل "

وقال: " إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، ثمّ ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى والأعلى، ثمّ من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط، وأمّا ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى فهما سيان في الاستعمال."

"وأقلّ الجمع استعمالاً ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط".

"وأحسن التراكيب ما تقدّمت فيه نقله الانحدار من غير طفرة، بأن ينتقل من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى، أو من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط، ودون هذين ما تقدّمت فيه نقلة الارتفاع من غير طفرة".

" وأمّا الرباعي والخماسي، فعلى نحو ما سبق في الثلاثي، يخصّ ما فوق الثلاثي كثرة اشتماله على حروف الذلاقة، لتجبر خفتها ما فيه من التقل¹."

6.1.3. رأي ابن الأثير:

أفردنا ابن الأثير عن الفريقين المذكورين، لأنّ له رأياً خاصاً، فهو لا ينكر أن يكون تباعد مخارج الحروف من أسباب تناسب الأصوات وحسن التّأليف، ولكنّه يقول: "إنّ حسن الألفاظ لا يعرف من جهة تباعد المخارج، وإنّما يعرف من جهة حاسّة السّمع، وإذا نظر فيما استحسّنه السّمع وجد متباعد المخارج، وكذلك إذا نظر فيما استقبّحه وجد متقارب المخارج، واستحسانها واستقبّاحها إنّما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده".

ونكر بعض الشّواذ التي شدّت عن هذه القاعدة، وأكّد أنّ مخارج الحروف لا تعتبر في حسن التّأليف.

¹—أحمد أبو زيد، مرجع سابق، ص 295—296.

نخلص من هذا العرض إلى أن آراء القدماء في أسباب تناسب الأصوات في التأليف تراوحت بين التعليل الموضوعي الصوتي، وبين التعليل الذاتي الذوقي.

فالذين تحدّثوا عن تباعد مخارج الحروف وتقاربها والاعتدال بينها في التأليف أرادوا أن يبحثوا عن علّة موضوعيّة، لتناسب الأصوات أو تنافرها، تستمدّ من صورة امتزاج الأصوات عند التأليف، والذين تحدّثوا عن حاسّة السّمع باعتبارها المعيار الذي يعرف به التّناسب والتّنافر في تأليف الأصوات، أرادوا أن يجعلوا لعلّة في ذلك ذاتيّة وذوقيّة.

وهناك من جمع بين التعليلين الموضوعي والذاتي وهو أبو الحسن الرّماني، ويبدو أنّ هذا هو الرّأي الرّاجح، لأنّ جمال تناسب الأصوات في العبارة المؤلّفة له أسبابه الموضوعيّة التي يعرفها أهل صناعة الكلام، لكنّ درجة إحساسهم بجمال التّناسب متفاوتة، كما تتفاوت درجة إحساسهم بما في قطعة موسيقيّة من جمال التّناسب.

ومهما يكن، فإنّ التّناسب هو أهمّ الأسباب الموضوعيّة لحسن المسموعات عامّة، يقول ابن خلدون: "والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة، وذلك أنّ الأصوات لها كميّات من الهمس والجهر والرّخاوة والشّدّة والقلقلة، وغير ذلك. والتّناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن".¹

2.3. تناسب الفواصل:

إذا كان التّناسب الإيقاعي للنّظم القرآني يتألّف من تناسب الأصوات والمقاطع، من توازن الكلمات والقرائن والآيات، فإنّ أبرز عناصرها وأكثرها وضوحاً هو تناسب الفواصل. إنّ أبرز خصائص النّظم القرآني هي التزام الفاصلة في جميع آياته التزاماً مطرداً، لا يختلف أبداً، كأنّها القافية في الشّعر، بل إنّ دور الفاصلة في النّظم القرآني يفوق دور القافية في الشّعر.

1.2.3. تعريف الفاصلة:

¹-المرجع السابق، ص 296-297.

الفاصلة، وتسمى رؤوس الآيات، قيل هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقريئة السجع. قال الرّماني: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني". وقال الدّاني: "هي كلمة آخر الجملة" وفرق بين الفواصل ورؤوس الآيات. فقال: "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممّا بعد، والكلام المنفصل قد يكون رأس الآية وغير رأس آية، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها، وكلّ رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تضمّ النوعين، وتجمع الضّربين". واستدلّ على رأيه هذا بما ذكره سيبويه في تمثيل القوافي بقوله تعالى: "مِمَّا كُنَّا نَبْغُ" (سورة الكهف) 64.

وناقش الجعبري رأي الدّاني وردّ عليه بثلاث حجج:

- أما ما ذهب إليه خلاف المصطلح.
- أنّ ما مثّل به سيبويه لا دليل له فيه، لأنّ مراده الفواصل اللّغويّة لا الصّناعيّة .
- أنّه- أي الدّاني-يلزمه إمالة "من أعطى" من سورة اللّيل للأبي عمرو بن العلاء.
- و أورد محمّد الحسناوي التعريف الذي يجعل الفاصلة كقافية الشعر وقريئة السجع، وأضاف إليه قوله: "والتّفصيل هو توافق أواخر الآي في حروف الرّوي أو في الوزن ممّا يقتضيه المعنى وتستريح إليه النّفوس".
- أمّا نعيم اليافي فيرى -بحقّ- أنّ الفاصلة تطلق ويراد بها أحد المعاني الثلاثة الآتية:
- حرف الرّوي الذي تنتهي به الآية ويشبه أولاً يشبه قريئة السجع وقافية الشعر.
- المقطع الذي تنتهي به الآية، وتقرب بهذا المعنى من القافية بالتّحديد الذي وضعه الخليل واقتراحه للمصطلح.
- الجزء الأخير الذي تذيّل به الآية، ويكون أفضل نهاية مناسبة متمكّنة لها.

وسميت الفاصلة بهذا الاسم " لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، وأخذت من قوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " (فصلت 1).

ولا يجوز تسميتها أسجاعاً، والزّاجح المنع من هذه الآراء التي عرضناها يتبين ما واجه العلماء من صعوبة في تحديد الفاصلة وتعريفها، ويرجع السبب في هذه الصعوبة . فيما يبدو إلى أشكال الفاصلة القرآنية وتعدد صورها، فقد تكون كلمة، وقد تكون مقطعاً من كلمة، وقد تكون جملة، وقد فطن سيّد قطب إلى شيء من هذا حين قال: " إنّ الفواصل في القرآن غيرها في الشّعر، فهي ليست حرفاً متّحدّاً، ولكنّها إيقاع متشابه، مثل: "بَصِيرٌ، حَكِيمٌ، مُبِينٌ، مُرِيبٌ". أو مثل: " الألباب، الأبصار، النّار، قرار".

ومهما يكن، فإنّ الفاصلة ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم بها انفرد القرآن من النثر والشّعر معاً، وهي من أبرز الخصائص التي جعلته نحواً جديداً من أنحاء البيان، طريقاً فريداً من طرق التّعبير.¹

2.2.3. القيمة البلاغية والإيقاعية والفاصلة:

للفاصلة في نظم القرآن قيمة هامة تفوق قيمة القافية في الشّعر، بل لعلّها أهمّ عنصر في قواعد التّشكّل الإيقاعي لهذا الكتاب المعجز.

وقد وقف عندها دارسوا الإعجاز، فتجادلوا حول تسميتها سجعا، وتحدّثوا عن مباينتها لقافية الشّعر، واختلفوا في قيمتها، فذهب معظم المعتزلة إلى الرّفْع من قيمتها، والتّنويه بشأنها، وإلى عدّها من أوجه بلاغة القرآن وإعجازه.

وذهب الأشاعرة، بزعامة عبد القاهر الجرجاني إلى التّقليل من قيمتها.

والحقّ أنّ قيمة الفاصلة في بلاغة النّظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء، وما كان للقرآن أن يحافظ عليها، ويختارها بعناية، فيأتي بها متمكّنة في موضعها، مستقرّة في نسقها،

¹—أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 350-351.

لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته، وتحقيق أهدافه، ولا شك أنّ للكلمة أو الجملة أو المقطع الذي تختتم به الآية قيمة خاصة، لأنه عنصر يؤدي وظيفة مزدوجة في نظم الآية: فهو من ناحية يتّصل بالمعنى ويتمّمه، ومن ناحية أخرى يتّصل بنظام الفواصل وينسقها، ولهذا كان حظّه من العناية أكبر، وهذا الحكم يعمّ الكلام المنظوم بأشكاله المختلفة.

يقول ابن جنّي: "ألا ترى العناية في الشعر إنّما هي القوافي لأنّها المقاطع، وفي السّجع كمثل ذلك، نعم وآخر السّجعة والقافية أشرف عندهم من أولها، والعناية بها أمس، والحشد عليها أوفى لهم، وكذلك كلّما نظرق الحرف في القافية ازداد عناية، ومحافظة على حكمه. وقد أشار العلماء إلى طرف من قيمة الفاصلة عندما بيّنوا أنّها تقع الاستراحة لتحسين الكلام واللّين والحاء التّون، وأوضحوا أنّ الكلمة من ذلك هي وجود التّمكّن في التّطريب بذلك.¹

3.2.3. قيمة حروف اللّين في الفاصلة القرآنيّة:

ويبدو ممّا تقدّم أنّ قيمة الفاصلة تتجلّى أكثر في حروف اللّين، لعلّ ممّا يوضّح ذلك ما ذكره ابن جنّي حين أورد تساؤلاً عن السّبب في كون المدّ لا يتمكّن فيما يجاور الطّرف. فقد قال ردّاً على هذا التّساؤل: "إنّما جيء بالمدّ في هذا الموضع لنغمته وللين الصوت به، وذلك أنّ آخر الكلمة موضع الوقف، ومكان الاستراحة و الأون فقدّموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه، وما يخفض من غلواء النّاطق (...)، ولذلك كثرت حروف المدّ قبل حروف الرّوي، كالتّأسيس والرّدف، ليكون ذلك مؤذناً بالوقوف ومؤدّياً إلى الرّاحة والسّكون، وكلّما جاور حرف المدّ الرّوي كان أنس به وأشدّ إنعاماً لمستمعه.

وأشار في مكان آخر إلى قيمة حروف المدّ واللّين في هذا الموضع، فقال: "ولذلك استعملن، يعني المدّات، في الأرداف والوصل والتّأسيس والخروج، وفيهن يجري الصوت للغناء والحداء، التّرنيم، والطّويح".

¹—أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص 351-352.

وكان سيبويه قبله قد أشار إلى ذلك حين قال: "أما إذا ترنّموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون ولا ينون لأنهم أرادوا مدّ الصوت".

ثمّة إذن قيمة صوتيّة لحروف المدّ واللّين التي كثر وقوعها في فواصل القرآن الكريم، إذا نهىء للوقوف والسكوت، كما ذكر ابن جنّي. وتمكّن من التّرّم والتطويح ومدّ الصوت، وفي هذا ما يجعلها تحدث تأثيرا نفسيا شبيها بالتأثير الذي يحدثه اللحن الصوتي.

يقول مصطفى صادق الرّافعي: "وما هذه الفواصل التي تنتهي بها الآيات إلّا صور تامّة الأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متّفقة مع آياتها في الصوت اتّفاقا عجيبا، يلاءم نوع الصوت، والوجه الذي يساق عليه، بما ليس وراءه في العجب مذهب، وما أكثر ما تنتهي بالتون والميم وهما الحرفان الطّبيعيان في الموسيقى، أو بالمدّ، وهو كذلك طبيعي في القرآن الكريم، فإن لم تنته بواحد من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطلق بما هو أشبه وأليق بموضعه.¹

وقال عزّ الدّين عليّ السيّد: "والممدود في الفواصل، وهي نهايات الدّفقات الصوتيّة للجمل، عند الوقف، نجد لها في القرآن الكريم من الحلاوة والإطراب حظّا يثير الإحساس بأنّ لها دخلا كبيرا في الإعجاز، وهي إمّا الممدود مطلقة، يوقف عليها بصوتها، وإمّا ملحقة بحرف صائت تسبقه، وقد تتكرّر في كلمة الفاصلة، فيضاعف التّكرير فيها بما لا يخفى جماله وأسرار إيقاعه".

وثبت بالإحصاء أنّ عدد الفواصل المردوفة بالمدّ في القرآن كل هو 5165.

منها بالياء 2672.

ومنها بالواو: 2048.

ومنها: 445.

¹—أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، ص352-353.

كما ثبت أن الفاصلة الأثيرة في القرآن هي النون الساكنة المردوفة بواو أو ياء،
فالمردوفة منها بواو: 1758، والمردوفة بياء: 1292.

تلك جملة من الآراء التي تنبّه إلى قيمة حروف اللين في فواصل القرآن، نقرّها ونضيف إليها
أن هذه الحروف تؤدّي الوظيفة الإيقاعية التي أشير إليها، ويؤدّي كذلك وظيفة معنوية بلاغية،
ولبيان ذلك يكفي أن نعرض مثالين: الأول من سورة نوح، والثاني من سورة المدثر.

المثال الأول: قال الله تعالى: " قَالَ رَبِّي إِنِّي آدَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِيدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا فِي ثِيَابِهِمْ وَأَصْرُوا
وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " (سورة نوح الآية: 5-10).

فالفاصلة التي تنتهي بها هذه الآيات تتألف من مقطع يتكوّن من صوت متحرك هو
الراء، ومن صوتين ممدودين هما الألف التي قبل الراء والألف التي بعدها، ولهذين المدين
وظيفة إيقاعية ووظيفة دلالية أما الأولى فيؤدّيانها بالسّماح للصوت بالارتفاع والامتداد في
نهاية كلّ آية بمقدار متناسب.

وأما الثانية فيؤدّيانها بإسهام في الإيحاء بصورة الجهد الفخم، الزّمن الطّويل الذي أمعناه
نوح عليه السّلام في دعوة قومه، وقد أشار القرآن في مكان آخر إلى أنّه، عليه السّلام " لَبِثَ
فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ".

المثال الثاني: قال تعالى متوعّدًا الوليد بن المغيرة، أحد كفار العرب في عصر النّبوة: " ذَرْنِي
وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا".

" وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ".

" وَبَيَّنَّ شُهُودًا " .

" وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا " (سورة المدثر 11-14).

تنتهي هذه الآيات القصيرة بفاصلة، كذلك، من مقطع مركّب من صوت متحرّك، هو الدال، ومن صوتين ممدودين هما الياء والألف، أو الواو والألف والآيات في توعّد رجل كفر نعمة الله، فلم يقدرها حق قدرها، بدأت ببيان ما أكرم الله به ذلك الرّجل من النّعم الكثيرة وما أفاض عليه من الخير العميم وجاءت الفاصلة المشتملة على صوتين ممدودين لتسهم بإيقاعها في الإيحاء بصورة النّعمة السّابغة والكرم الغامر، لأنّ امتداد الصّوت مرّتين في نهايات هذه الآيات القصيرة يسمح للإيقاع الممدود بالوضوح التّام في الاستماع، فيوحي إليها بصورة الامتداد والاتّساع، وهي صورة المعنى المقصود، والأمثلة كثيرة.

هكذا يتّضح كيف يؤدّي حروف اللّين التي تكثر في فواصل القرآن ووظائفها الإيقاعيّة والمعنويّة، فتسهم في بلاغة الآيات وحلاوة الإيقاع.¹

لذلك فإنّ التناسب أهمّ الأسباب الموضوعيّة لحسن المسموعات عامّة، لهذا لا يظهر تناسب هو المسرح الذي تلتقي فيه الأصوات، على اختلاف مخارجها وصفاتها، فتتداخل أجراسها وتتجاوب نغماتها.

المخارج: وهي على التّرتيب التّالي:

- 1) من الجوف، مخرج الألف، على رأي أهل التّجويد.
- 1) من أقصى الحلق مخرج الهمزة والهاء.
- 2) من وسط الحلق مخرج العين والحاء.
- 3) من أدنى الحلق مع أوّل الفم مخرج الغين والحاء.
- 4) من أقصى اللّسان، مخرج القاف.
- 5) من أسفل من ذلك إلى مقدم الفم مخرج الكاف.
- 6) من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشّين والياء.
- 7) من أوّل حافة اللّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضّاد.

¹ -أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 354-355.

- 8) من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان فريق الضاحك مخرج اللام.
 - 9) من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج الرّاء.
 - 10) من طرف اللسان من فوق مغار الثنايا مخرج الرّاء.
 - 11) بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطّاء والذّال والتّاء.
 - 12) بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصّاد والزّاي والسّين.
 - 13) بين أطراف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظّاء والذّال والتّاء.
 - 14) من باطن الشّفة السّفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.
 - 15) ممّا بين الشّفتين مخرج الباء والميم والواو.
 - 16) من الخياشيم مخرج الغنة والنّون الخفيفة الساكنة.¹
- وللّغويين المحدثين آراء خاصّة في تحديد هذه المخارج لا يتّسع المجال هنا لذكرها.

¹ - أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص 289-290.

المبحث الرابع: مخارج الأصوات وصفاتها في اللغة العربية.

1.4. مخارج الأصوات:

لقد رتب اللغويون القدامى وعلماء التجويد مخارج الأصوات بدءاً من الحلق وانتهاءً بالشفيتين.

تعريف المخرج:

أ: لغة: "المخرج هو موضع الخروج، يقال خرج مخرجاً حسناً وهذا مخرجه".¹

أي المخرج هو الموضع الذي ينشأ منه الصوت.

وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي: "المخرج أيضاً محلّ الخروج".²

ب . اصطلاحاً: هو مكان إغلاق مجرى الهواء أو تضيقه سواء كان ذلك في المزمار أو في البلعوم أو الفم".

1.1.4. المخرج الشفوي (zabial) :

ينتج عن انضمام الشفتين معاً وأصوات هذا المخرج هي: الباء، الميم والواو.³

2.1.4. المخرج الشفوي الأسنانى Labiodentiel:

وينتج الصوت الشفوي الأسنانى الوحيد وهو الفاء، وهو موجود في اللغة العربية وهو يعني "انضمام شفا واحدة مع الثنايا الأمامية والشفة، المقصودة هنا يعني الشفا السفلى".⁴ ولم يختلف القدماء عن المحدثين في استخدام مصطلح (الأسنان) شفوي، فالفاء والباء والميم عند الخليل جزء من الحروف الذلّقيّة السّنة وهي: (ر، و، ل، ن، ف، ي، م).

3.1.4. المخرج الأسنانى Damtal:

وهو ما بين الأسنان، وفي هذا المخرج يوضع طرف اللسان بين الثنيتين الأماميتين، وقد

¹-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط 4، 2005، ص 249.

²-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الرسالة، ج1، ص 273.

³-نور الدين عصام، علم الأصوات اللغوية، فونيتيكا، دار المكر اللبناني، بيروت - لبنان، ط1، 1996م، ص 218.

يلمسهما أو يقترب منهما، والأصوات بين الأسنان هي: الثاء والذال والظاء والتاء المفخمة.¹

4.1.4. المخرج اللّهوي (uvular):

وفي هذا المخرج يلتقي أقصى اللسان باللّهات، أو يقترب منها، ومن أمثلة الصّوامت اللّهوية القاف.

5.1.4. المخرج الحلقي pharyngeal:

وهو الذي يتقلص فيه جدار الخلق عند المحدثين ومنه صوتان هما: "العين والحاء". فعند النطق بهاذين الصّوتين يندفع الهواء مارًا بالحنجرة فيحرّك الوترين الصّوتيين حتّى إذا وصل إلى وسط الحلق ذاق المجرى.

6.1.4. المخرج الحنجري (Glottallaryngeal):

وهنا يحدث غلق الأحبال الصّوتية، والصّوت الحنجري المصاحب بغلق الأحبال الصّوتية الهمزة، وقد يحدث انفتاح الأحبال الصّوتية، والصّوت الحنجري المصاحب بفتح الأحبال الصّوتية الهاء.²

2.4. صفات الأصوات:

لقد عني الدارسون بتصنيف الأصوات حسب صفاتها السّمعية حيث دار هذا التصنيف حسب مخرجها الفيزيولوجية ووزعوا الحروف على أساس صفاتها إلى صنفين صفات لها ضدّ وصفات ليس لها ضدّ، وهي على النحو التّالي:

1.2.4. الصّفات التي لها ضدّ:

1.1.2.4. الجهر والهمس:

¹-صلاح حسين، المدخل إلى علم الأصوات المقارن، توزيع مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط 2، 2005م-2006م، ص38.

²-المرجع نفسه، ص39.

يعرف الجهر بأنه تذبذب الوترين الصوتيين خلال النطق بصوت معين، ويسمى الصوت مجهورا soured أو voiced.

أما الهمس فيعرف بأنه: عدم تذبذب الوترين خلال النطق بصوت يوصف بأنه مهموس umvoiced أو sourd.

ونستطيع أن نتبين الفرق بين الحالتين لنتبين المهموس والمجهور من أصوات اللغة، فنضع أيدينا خلال النطق بالصوت (أو الحرف) على مقدم الرقبة أو على الجبهة، أو على الصدر أو الأذنين، فهذه المناطق يتردد فيها صوت الرنين، وعند حدوث ذبذبة خلال النطق تحدث تأثيرها في هذه المواضع، ويحس من يلمسها باهتزاز الوترين الصوتيين إذا كان الصوت مجهورا، فإن لم يجد اهتزاز أو رنينا كان الصوت مهموسا.

ومثال هذا مدّ صوت السين خلال النطق، ومدّ صوت الزاي في النطق، تجد رنينا في الزاي له صدى في الأذن أو الجبهة أو الصدر، ولا تجد هذا الرنين أو صدى له خلال نطق السين، وتوجد بالعربية الفصحى ثلاث عشرة وحدة صوتية مهموسة هي: ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ، وقد جمعتها في قولي: "أتحت كطه شخصا فسق" وفيها خمس عشرة وحدة صوتية مجهورة وهي: ب، ج، د، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي. بالإضافة إلى الصوائت الثلاثة (حركات المدّ: الألف، الواو، الياء) واختلاف القدماء مع المحدثين في الهمزة والطاء والقاف فهي مجهورة عند سيبويه ولكن الدراسات الحديثة أثبتت أنها مهموسة.¹

2.1.2.4. الشدة والرخاوة:

الشدة هي أن يمنع النفس من أن يجري مع الصوت في الفم، وهي: /ء/، /ق/، /ك/، /ج/، /ط/، /ت/، /ت/، /د/، /ب/.

¹ -محمود عكاشة، أصوات اللغة، مرجع سابق، ص 65-66.

أما الرخاوة فهي أن يسمح بمرور النفس أثناء نطق الصوت. وهي: / ه / ، / ح / ، / غ / ، / خ / ، / ش / ، / ص / ، / ض / ، / ز / ، / س / ، / ظ / ، / ث / ، / ذ / ، / ف / .

والصوت الوحيد الذي اعتبروه ليس بشديد ولا رخو هو / ع / .¹

3.1.2.4. الإطباق والانفتاح:

فأما المطبقة فالصّاد، والصّاء، والطّاء، والظّاء.

والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق منهنّ لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى.

وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهنّ انطبق لسانك من مواضعهنّ إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف.

وأما الدّال والذّي ونحوهما فإنّما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهنّ. فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بين ذلك بحصر الصوت، ولولا الإطباق لصارت الطّاء دالا، والصّاد سينا، والظّاء ذالا، ولخرجت الصّاء من الكلام، لأنّه ليس شيء من موضعها غيرها.²

4.1.2.4. الاستعلاء والاستفتال:

¹ -منصور محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التّوبة، الرياض، المملكة العربية السّعودية، ط1، 1421هـ-2001م، ص 91.

² -أبي عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي، التّحديد في الإتيان والتّجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمّار للنشر والتّوزيع، عمان الأردن، ط1، 1421هـ، ص 106.

"الأصوات المستعلية هي الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ) والاستعلاء صفة لبعض الأصوات الخلفية، وهي القاف والغين والحاء، وهي الأصوات التي يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة، ليخرج الصوت غليظاً مفحماً، لكن دون مبالغة في تغليط النطق".

"الاستقتال" وهو وضع اللسان يكون فيه أسفل في قاع الفم، وذلك في بقية الأصوات المرققة، والأصوات المستعلية تأتي في مقابل الأصوات المستقلة، والأصوات الخلفية المستعلية (ق، غ، خ) تتأثر بما يليها من حركات أمامية فيضيف فيها أثر التخميم قليلاً أو كثيراً، وقد لا يضر هذا في حالة النطق بالغين والحاء في مثل: غِبْتُ وَخِفْتُ، لأنَّ الكسرة تشد الصامت قبلها إلى قبيل مخرجها في الغار، فيصيبه بعض الرقيق، ولكن القاف إذا تقدم مخرجها صارت كافاً، كما هو شائع على السنة بعض العوام والأطفال الذين ينطقون القاف كافاً، مثل: "الكاهرة"¹.

5.1.2.4. الذلقة والمصمتة:

"الذلاقة ومن معانيها في اللغة الفصاحة والخفة وفي الاصطلاح الاعتماد عند النطق بالحرف على ذلق اللسان والشفة وقيل غير ذلك وحروفها ستة جمعها الحافظ ابن الجزري في المقدمة والطيبة في قوله: "فِرٌّ مِنْ لُبِّ" وهي الفاء والراء والميم والنون واللام والباء الموحدة. وسميت بذلك لذلاقتها أي خفتها وسرعة النطق بحروفها لأن بعضها يخرج من ذلق اللسان أي طرفه وهو الراء واللام والنون وبعضها يخرج من ذلق الشفة وهو الفاء والباء والميم وكما تسمى بالذلاقة تسمى بالحروف المذلقة وبحروف الإذلاق وكلها ألفاظ مترادفة".

"أما الإصمات وهو ضد الذلاقة ومعناه في اللغة المنع وفي الاصطلاح منع حروفه من أن يبني منها وحدها في كلام العرب كلمة رباعية الأصول أو خماسية حرف من الحروف المذلقة لتعدل خفته ثقل حرف الإصمات ولهذا سميت بالحروف المصمتة، وأما كلمة "عسجد" اسم للذهب و"عسطوس" بفتح العين والسين اسم شجر فقيل إنهما غير أصليين في كلام العرب

¹ -محمود عكاشة، أصوات اللغة، مرجع سابق، ص 78.

بل ملحقان به وقيل شاذان وقيل في غير ذلك واعلم أنّ صفة الإذلاق وضدّها صفة الصّمت لا دخل لهما في تجويد الحروف.

وهذا وحروف الإصمات ثلاثة وعشرون حرفاً هي الباقية من حروف الهجاء بعد الحروف السّنة المتقدّمة للذّلاقة، ويؤخذ من هذا أن حروف الهجاء موزّعة على صفتيّ الذّلاقة والإصمات فما كان من حروف "قر من لب" فمذلق، وما كان من غيرها "قمصمت".¹

2.2.4. الصّفات التي ليس لها ضدّ:

1.2.2.4. التّكرير:

. وهي صفة اختصّ بها صوت الرّاء إذا قالوا في الرّاء أنّه: "حرف شديد جرى فيه الصّوت لتكريره وانحرافه إلى اللّام فتجافى للصّوت كالرّخوة ولو لم يكرّر لم يجرّ الصّوت فيه وهو الرّاء".²

وليس هناك خلاف في هذه الصّفة وتّصاف صوت الرّاء سواء بين علماء هذه المدرسة أنفسهم أم بينهم وبين المحدثين الذين ذهبوا إلى ما ذهب إليه القدماء في وصفهم الرّاء.³

2.2.2.4. الصّفير:

حروف الصّفير وهي ثلاثة: الرّاي والسّين والصّاد، سمّيت بذلك لأنّ الصّوت يخرج معها عند النّطق بها يشبه الصّفير، فالصّفير من علامات القوّة، والصّاد أقواها للإطباق والاستعلاء اللّذين فيها، والرّاي تليها لجرها فيها والسّين أضعفها لهمس فيها.⁴

3.2.2.4. التّفشي:

¹- محمّد بن محمّد الجزري، التّمهيد في علم النّجويد، تح: علي حسين البوّاب، مكتبة المعارف، الرّياض، ط1، 1405هـ - 1985 م، ص 97-98.

²- أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، مطبعة المثني، بغداد، ج2، ص 406.

³- كمال بشر، علم اللّغة العام " الأصوات"، مرجع سابق، ص 129.

⁴- محمّد بن محمّد بن الجزري، المرجع نفسه، ص 91.

الحرف المتشّبي وهو الشين، سمّيت بذلك لأنها تفتّشت في مخرجها عند النطق بها حتّى اتّصلت بمخرج الطّاء، وقيل أنّ في الباء تشبيهاً قلت: والواو كذلك وقال قوم: حروف التشّبي ثمانية: الميم، والشين، والفاء، والزّاء، والثّاء، والصاد، والسّين والضّاد، تشّبي الميم بالغنة، والشين والثّاء بالانتشار، والفاء بالتأفّف، والزّاء بالتكرير، والصاد والسّين بالصّفير، والضّاد بالاستطالة. ومن جعل الميم حرف تشّش بالغنة يلزمه النّون لأنّه حرف أغنّ، ومن لقّب الصاد والسّين بالتشّبي لصفيهما يلزمه الزّاي لأنّ فيه ما فيها من الصّفير، ومعنى التشّبي: هو كثرة انتشار خروج الرّيح من اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها حتّى يتّصل الحرف بمخرج غيره.¹

4.2.2.4. اللّين:

اختصّت حروف (الواو والياء والألف) بهذه الصّفة، لأنّ مخرجها يتّسع لهواء الصّوت أشدّ من اتّساع غيرهما.

ولا يبتعد المحدثون عن هذا الوصف إذ إنّ هذه الأصوات عندهم تحمل درجة انفتاح واسعة عند النطق بها ومثلها الألف، وهي حروف تمتلك أبرز خواص الحركات، وهي حريّة مرور الهواء حال النطق بها فضلاً على قوّة الوضوح السّمعى.²

5.2.2.4. الاستطالة:

هي أن يستطيل مخرج الصّوت حتّى يتّصل بمخرج آخر وهي صفة صوت الضّاد العربيّة القديمة، وهو صوت رخو يخرج ممّا بين جانبيّ اللسان، وبين ما يليه من الأضراس، سواء من يمين اللسان أو من شماله أو من الجانبين والأكثر من اليمين، وهذا المخرج القديم.³

6.2.2.4. القلقة:

¹-محمد بن محمّد الجزري، المرجع السابق، ص 97.

²-المرجع نفسه، ص 92.

³-محمود عكاشة، أصوات اللّغة، مرجع سابق، ص 79.

ومن معانيها في اللغة: التحريك والاضطراب وفي الاصطلاح اضطراب اللسان بالحرف عند النطق به ساكناً حتى يسمع له نبرة قويّة في حروفها خمسة جمعها الحافظ ابن الجزري في مقدّمته وطيبته بقوله: "قطب جد" وهي "القاف والطّاء والباء الموحّدة، والجيم والدّال المهملة" وسمّيت بذلك لأنّ من صفاتها الشدّة والجهر فالشدّة تمنع الصوت أن يجري معها والجهر يمنع النفس أي يجري معها كذلك. فلما امتنع جريان الصوت والنفس مع حروفها احتجج إلى التّكلف في بيانها بإحراجها شبيهة بالمتحرّك.¹

7.2.2.4. الانحراف:

وهو انحراف مخرج الهواء مع جانب اللسان، وينطبق على اللّام.² كما قال سيبويه: "إنّ الرّاء حرف شديد جرى فيه الصّوت لتكريره وانحرافه إلى اللّام، فتجافى في الصّوت كالرّخوة ولو لم يكرّر لم يمرّ فيه الصّوت".³

¹-محمّد بن محمّد الجزري، التمهيد في علم التّجويد، مرجع سابق، ص92.

²-منصور بن محمّد الغامدي، الصّوتيات العربيّة، مرجع سابق، ص92.

³- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط2، 1982م، ج4، ص435.

خلاصة:

يتّضح لنا من خلال ما تناولناه في هذا الفصل أنّ التناسب الصوتي من أبرز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ فذلك التآلف والانسجام الذي يحصل بين الأصوات، تخشع له النفوس و تطرب له الأذن، كما تتلخّص نظرة الدارسين القدماء للتناسب الصوتي في تركيزهم على التّناسق اللفظي أي تناسب الألفاظ بعضها مع بعض، في حين احتفى المحدثون بدراسة تناسب الأصوات مع المعاني؛ أي الدلالة التي تحيل إليها، كما استنتجنا أنّ التناسب هو ما يحدث من تآلف و التّئام بين الأصوات فهذه الأصوات حتّى و إن تباعدت مخرجها و اختلفت صفاتها إلاّ أنّها تؤدّي وظيفة جماليّة وتعطي للقرآن الكريم رونقا متميّزا، كما أنّ للفواصل كذلك قيمة إيقاعيّة لما تحدثه من جرس صوتي عذب.

الفصل الثاني:

دراسة تطبيقية للتناسب الصوتي في سورتي ياسين والرحمان

تمهيد:

إنّ للصوت اللغوي أهمية في دراسة النصّ القرآني، من حيث أنّه البنية اللغوية الصغرى المكوّنة للكلمات والتراكيب والآيات، إلى جانب ذلك فهو عنصر أساس في الإعجاز القرآني، فالقرآن ينتقي الأصوات اللغوية بحسب الدلالات، قصد تجسيد المعاني في أحسن صورة وقد ارتبطت الفواصل القرآنية بمعاني التراكيب والآيات، فلم يقتصر القرآن على رعاية حسن النظم فحسب وإنّما كان الاهتمام مع ذلك بالمعنى، كما يتّسم الصوت القرآني بقوة التأثير، انطلاقاً من سهولة الأصوات حين اتّلافها، وإحساس الأذن بعذوبتها حين الترتيل والتجويد، والتفاعل الذي يحدث بين هذه الأصوات له دلالات كثيرة ونحن في دراستنا التطبيقية سنتعرّف على التّناسب الصوتي في كلّ من سورة ياسين والرحمان من خلال التّعرّض لدراسة مخارج الأصوات وصفاتها ودراسة تناسب الفواصل وما يتبعها من دلالات ومعاني .

المبحث الأوّل: التعريف بسورة ياسين وفضلها.

1.1. تعريف وصفي بسورة ياسين:

سمّيت هذه السّورة "يس" بمسمّى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف لأنّها أفردت بها فكان مميّزين لها عن بقية السّور، فصار منطوقها علماً عليها وكذلك ورد اسماً عن النّبّي صلى الله عليه وسلم، روى أبو داود عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا يس على موتاكم"، وبهذا الاسم عنون البخاري والترمذي في كتابي التفسير.¹ وجاء في تفسير ابن عطية: "هذه السّورة مكيّة بالإجماع إلا فرقة قالت أن قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَأَثَرَهُمْ﴾ (12) نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: "دِيَارُكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ" وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفوا المدينة، وعلى هذه فالآية مدنيّة وليس الأمر

¹ -محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م، ج22، ص 341.

كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتجّ بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي صلى الله عليه وسلم في المعنى.¹

وجاء في كتاب "محاسن التأويل" أنها مكية هي مكية واستثنى منها بعضهم قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ (12) يس بما أخرجه الترمذي

والحاكم عن أبي سعيد قال: "كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى أقرب المسجد فنزلت هذه الآية ولا حاجة لدعوى الاستثناء فيها وفي نظائرها".²

2.1. فضل سورة ياسين:

قال ابن كثير في تفسيره مبيناً أقوال بعض العلماء في فضلها: "من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله. وكأنّ قراءتها عند الميت لتنزّل الرحمة والبركة، ليسهل عليه خروج الروح".³

وجاء في الجامع الصحيح في فضل سورة "يس" عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ لكلّ شيء قلباً، وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات".⁴

وما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده أو ابن حبان في صحيحه، عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إقرؤها على موتاكم يعني يس".⁵

المبحث الثاني: دراسة التناسب الصوتي في سورة ياسين.

¹- للقاظي أبي عبد الحق بن علي بن عطية الأندلسي ت 54 هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام الثاني محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2001م، ج4، ص445.

²- محمد جمال الدين الحلاق القاسي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1418هـ، ص 172.

³- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 563.

⁴- الترمذي، الجامع الصحيح، دار زاد القدسي، القاهرة - مصر، ج 1، ص 232.

⁵- ابن حنبل أحمد ابن محمد، المسند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط 3، 1994. ج 5، ص 661.

إنّ اللّغة أصوات يعبر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم، والصّوت لا يكون كذلك إلاّ إذا تمّ النطق به، فخرج من مخرجه في الجهاز النطقيّ، ليكتسب بذلك صفاتٍ وخصائص دلاليّة تساهم بشكلٍ أو بآخر في بناء مفردات اللّغة وتشكيل دلالاتها، ولذلك فلكلّ كلمة دلالاتها المعجميّة ومعناها السياقي الذي يميّزها عن غيرها، وخاصّة إذا ما تمّ النّظر إلى مساهمة هذه الأصوات في بناء معاني المفردات القرآنيّة، هذا ما يسمّى بالتّناسب بين الصّوت والدّلالة؛ بحيث يتمّ اختيار صوت دون آخر للتعبير عن الدّلالة القرآنيّة في سورة معيّنة، وفي مقالٍ معيّن، ومقامٍ محدّد دون آخر، والذي من أهمّ خصائصه: التّلاؤم في نظم الحروف؛ فلا تكون مخارجها متقاربة ولا متباعدة، التّوزيع العادل بين الحركات والسّكنات بين أصوات المفردات بما يتوافق مع الدّلالة والفواصل القرآنيّة، التّجانس بين الكلمات المتشابهة في النطق والمختلفة في المعنى¹، ومنه يمكن استقراء هذا التّناسب الصوتي في القرآن الكريم من خلال دراسة مدى اختيار الصّوت المناسب للفظ المناسب، وخدمته للمعنى اللّغوي و المقامي داخل الآيات من جهة، وفي فواصلها القرآنيّة من جهة ثانية.

وسورة ياسين مثلها مثل باقي سور القرآن الكريم يظهر فيها التّناسب الصوتي في آياتها في مواضع عدّة، وهي كالآتي:

1.2. التّناسب من حيث مخارج الأصوات وصفاتها:

¹-ينظر: بوكروشة فوزية سلطاني الجيلالي، أثر التّناسب الصوتي في استجلاء المعنى في القرآن، عرض نماذج، مجلّة العلوم القانونيّة والاجتماعيّة، المجلّد السّادس، العدد الزّابع، ديسمبر 2021م، ص15.

قبل أن ندرس التناسب الصوتي في سورة ياسين، يجب علينا أن نحدّد مخارج الأصوات التي وردت في هذه السورة وصفاتها، والتي هي كما يلي¹:

الأصوات:	مخارجها	صفتها:
الهمزة	حلقي	شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الألف	هوائي	لَيِّنٌ.
الهاء	حلقي	رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
العين	حلقي	مجهور، ليس بشديد ولا رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الحاء	حلقي	مهموس، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الخاء	حلقي	مهموس، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الغين	حلقي	مجهور مستعل، رخو، مُنْفَتِحٌ.
القاف	لهوي	شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَعِلٌّ، مُقْلَقَلٌّ.
الكاف	لهوي	مهموس، شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الضاد	شجري	مجهور وهو أحد الحروف المستعلية، مُسْتَقِلٌّ، رخو، مُطْبِقٌ.
الجيم	شجري	مجهور، شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَعِلٌّ، مُقْلَقَلٌّ.
الشين	شجري	مهموس، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُنْقَشٌّ.

¹ - ينظر: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: سرُّ صناعة الإعراب، تح: حسن هندواوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م، مج1، ص 83 - 203 - 243 - 191 - 195 - 255 - 287 - 289 - 225 - 217 - 361 - 5 - 203 - 107 - 229 - 197 - 155 - 221 - 207 - 211 - 237 - 201 - 183 - 259 - 131 - 89 - 223.

والغامدي، منصور بن محمد: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1431هـ / 2001م، ص91، 92 - 94، 93.

ونور الدين، عصام: السلسلة الأسنينية: على الأصوات اللغوية - الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م، ص234، 235، 236.

الياء	هوائِي	مجهور، ذائِبٌ، لِيّن.
اللام	لثويّ، ذلَقِيّ	مجهور، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، منحرف.
الراء	ذَلَقِيّ	مجهور مكرر، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُنحرف.
النون	ذَلَقِيّ	مجهور أَعَنَّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الطاء	نطعيّ	مجهور مستعل، شديد، مُطَبَقٌ، مُقْلَقَلٌّ.
الذال	نطعيّ	مجهور، شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُقْلَقَلٌّ.
التاء	نطعيّ	مهموس، شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الصاد	أسنانيّ لثويّ	مهموس، رخو، مُطَبَقٌ، مُسْتَعِلٌّ، صغيريّ.
الزاي	أسليّ	مجهور، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، صغيريّ.
السين	أسنانيّ	مهموس، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، صغيريّ.
الظاء	لثويّ	مجهور، رخو، مُطَبَقٌ، مُسْتَعِلٌّ.
الذال	لثويّ	مجهور، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُقْلَقَلٌّ.
الثاء	لثويّ	مهموس وهو أحد حروف النفت ¹ ، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الفاء	شفويّ	مهموس، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الباء	شفويّ	مجهور، شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُقْلَقَلٌّ.
الميم	شفويّ	مجهور، أَعَنَّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.
الواو	شفويّ، هوائِيّ	مجهور، لِيّن.

¹ - ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، سُرُّ صناعة الإعراب، تح: حسن هندائيّ، دار الأمل، دمشق-سوريا، ط1، 1985م، مج1، ص183.

* النفت هو النَّفخ من الفم أو الأنف.

وتحتوي سورة ياسين على عدد من المخارج التي توزعت على كل آياتها، وأكثر المخارج الغالبة على آيات السورة الكريمة هي: "الميم" و"النون" بشكل كبير، ثم "الهاء"، "الراء"، مع أصوات المدّ بتفاوت بين "الألف"، "الياء"، و"الواو".

ويظهر التناسب في الأصوات في سورة ياسين إما في لفظة واحدة أو ألفاظ مؤلفة تختلف في مخرجها، هذا الاختلاف يشكّل تناسبا يحدث تناغما صوتيًا بين الألفاظ ومن بين الألفاظ المتناسبة من حيث مخارج الأصوات في السورة نذكر:

أ. صوت الميم:

ورد صوت الميم في سورة ياسين مكرراً ثلاثمائة وتسعة مرات، وسنحاول فيما يلي ذكر بعض الآيات التي ورد فيها لدراسة التناسب الصوتي فيها:

في الآية الثالثة قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (3)

جاءت كلمة "المرسلين" مركّبة من أصوات متباعدة من حيث مخرجها، وهو الأمر الذي أحدث تناسبا بينها، فهي مؤلفة من صوت (الميم) وهو شفويّ مجهور، أغنّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، وصوت (الراء) ذلقيّ مجهور مكرّر، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُنْحَرَفٌ، وصوت (السين) أسليّ مهموس، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، صفيريّ، وصوت (اللام) مجهور، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُنْحَرَفٌ، و(النون) ذلقيّ مجهور أغنّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، وأخيرا (الياء) الممدودة وهي مجهورة، ذائبة، لينة. هذا الاختلاف في مخارج الأصوات في هذه الآية شكل تناسبا صوتيًا في لفظها؛ فقد تناسب الصوت هنا مع المعنى للدلالة على الرّسل وتوضيحهم للمتلقّي، فد"المرسلين بوحى الله إلى عباده"¹، وهم الرّسل لأنهم ينقلون رسائل الله سبحانه وتعالى إلى عباده، لذلك جاءت بعد أداتي توكيد للتأكيد عليها وإثباتها وهما "إنّ" و"اللام".

¹ -مجموعة من العلماء، عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: التفسير الميسر، مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف <http://www.qurancomplex.com>، ج7، ص468.

في الآية الرابعة قال تعالى: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (4).

حيث جاءت كلمة "مستقيم" مركبة من أصوات متباعدة من حيث مخارجها تماماً كسابقتهما، وهي بذلك مؤلفة من صوت (الميم) وهو شفويّ مجهور، أغنّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، وصوت (السين) أسليّ مهموس، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، صفيريّ، صوت (التاء) مهموس، شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، ف(القاف) باعتباره صوت شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُقْلَقٌ كذلك، و(الياء) الممدودة وهي مجهورة، ذائبة، لينة، ثم تختتم بصوت (الميم) مرة أخرى.

ومنه فقد تناسبت الأصوات هنا مع المعنى للدلالة على الطريق البين الواضح، فالمقصود هنا بالصراط المستقيم المعتدل هو: "الإسلام".¹

في الآية السادسة قال تعالى: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ (6).

وقد جاءت كلمات هذه الآية ذات مخارج صوتية متباينة خفيفة النطق وسهلة الانزلاق، على الرغم من التقارب الخفيف فيها، حيث جاءت كلمتي "قوماً ما" مركبة من كلمتين اثنتين التقت ميم الأولى مع ميم الثانية فأدغمتا في بعضهما البعض، ما جعل قراءتهما خفيفة على اللسان، كما تركبنا من أصوات متباعدة المخارج، وهي: صوت (القاف) باعتباره صوت شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُقْلَقٌ، و(الواو) باعتبارها مجهورة، لينة، و(الميم) شفويّ مجهور، أغنّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.

ثم افتتحت الميم الموصولة بصوت (الميم) شفويّ مجهور، أغنّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، تلتها (الألف) الممدودة وهي مجهورة، ذائبة، لينة.

ومنه فقد تناسبت أصوات الكلمتين مع بعضهما وطول مدّهما مع المعنى للدلالة على مجموعة من الناس أو ما يمكن تسميتهم بالأمة، فالمقصود بالقوم هنا "هم العرب، فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح. وكلّ أمة ينقطع عنها الإنذار تقع في

¹-المرجع نفسه، نفس الصفحة.

الغفلة، وفي هذا دليل على وجوب الدعوة والتذكير على العلماء بالله وشرعه؛ لإيقاظ المسلمين من غفلتهم¹.

وللتعبير عنهم تم استخدام ضمير الجمع المختوم بالميم بدلا من الحديث عن القوم باستخدام ضمير المفرد المذكر، حيث أن (الميم) في هذا الضمير جاءت للتذكير والتنبية على أن الابتعاد والغفلة عن عبادة الله سبحانه يؤدي إلى الهلاك.

وفي الآية العاشرة قال تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (10).

لقد تكرر صوت (الميم) هنا ست مرات، يقع في كل مرة فيها موقع ختام الكلمة، ساكناً، ما يدل على حسم الأمر، ومن هذه الكلمات: (عَلَيْهِمْ، أَمْ، لَمْ، تُنذِرْهُمْ، يُؤْمِنُونَ)، حيث جاءت هذه الكلمات مركبة من أصوات متباعدة من حيث مخارجها تماما كسابقتها، وهي بذلك مؤلفة من صوت (الميم) -وهو أساسها الذي لم ترد كلمة وهي خالية منه- شفوي مجهور، أغنّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، والذي انزلق من أصوات أخرى تسبقه لتوصل إليه، وأهمّ هذه الأصوات:

- (العين): مجهور، ليس بشديد ولا رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.

- (اللام): مجهور، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، منحرف.

- (الياء): الممدودة، مجهور، ذائبٌ، لِينٌ.

- (الهاء): رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.

- (الهمزة): شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.

- (الذال): مجهور، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُقَلِّلٌ.

- (الراء): مجهور مكرّر، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، منحرف.

- (النون): مجهور أغنّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.

¹- المصدر السابق، ص470.

هذه الأصوات التي جاءت على ترتيبها التنازلي متفاوتة بين المجهور المستقل والمجهور الذائب اللين، وبين الشديد المنفتح و المجهور الأغن، وبين المنحرف والأغن كذلك، وبين مجهورين أغنين منفتحين يتوسطهما مجهور مكرّر.

وقد تركبت مع بعضها لتشكّل لنا نظاماً ملتحماً مركباً تركيبياً متوازناً منسجماً من حيث علاقة الأصوات المستخدمة في بناء المفردات، والدلالة التي جاءت لتعبّر عنها هذه المفردات، حيث إنّها تدلّ في اجتماعها على تساوي تحذير الرسول للكفار المعاندين وعدم تحذيره؛ ذلك أنّهم لا يصدّقون ولا يعملون¹، بما يتمّ أمرهم به، ولذلك تمّ تكرار صوت الميم الذي يدلّ في أساسه على الظلمة والانكسار وبحركاتٍ ساكنة تفضي بنهاية الأمر وحسمه معهم.

ب. صوت النون:

ورد صوت النون في سورة ياسين مكرّراً ثلاثمائة مرّة، وسنحاول فيما يلي ذكر بعض الآيات التي ورد فيها لدراسة التناسب الصوتي فيها:

في الآية الخامسة عشر قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (15).

وقد تكرّر صوت (النون) هنا ثمانية مرّات، يقع في كلّ مرّة بين متوسّط الكلمة وختامها، أو ينطق موضع التّونين، وفي معظم هذه المرّات جاء ساكناً، ما يدلّ على حسم الأمر كذلك، ومن هذه الكلمات: (أَنْتُمْ، مِثْلُنَا، أَنْزَلَ، الرَّحْمَانُ، مِنْ، إِنْ، أَنْتُمْ، تَكْذِبُونَ)، حيث جاءت هذه الكلمات مركّبة من أصوات متباعدة من حيث مخارجها تماماً كسابقها، وهي بذلك مؤلّفة من صوت (النون) -وهو أساسها الذي لم ترد كلمة وهي خالية منه- مجهور أغن، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌ، والذي انزلق من أصوات أخرى تسبقه أو تليه لتوصّل إليه، وأهمّ هذه الأصوات:

- (الهمزة): شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌ.

¹- ينظر: المصدر السابق، ص474.

- (اللام): مجهور، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، منحرف.

- (الميم): شفوي مجهور، أَعْنٌ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.

- (الواو): الممدودة، مجهورة، لَيِّنَةٌ.

هذه الأصوات التي جاءت على ترتيبها التنازلي -منها إلى النون- متفاوتة بين شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ وما أكثرها، ومجهور منفتح أَعْنٌ، ومدّ لَيِّنٌ.

وقد تركبت مع بعضها لتشكّل لنا نظاماً منسجماً من حيث علاقة الأصوات المستخدمة في بناء المفردات، والدلالة التي جاءت لتعبّر عنها هذه المفردات، حيث إنّها تدلّ في اجتماعها على تكذيب أهل القرية للرسل واعتبارهم بشر مثلهم، وأنّ الرحمن سبحانه ما أنزل شيئاً من الوحي، وأنّ هذا ما هو إلاّ كذب منهم¹، ولذلك تمّ تكرار صوت النون ما بين الأصوات الأصليّة في الكلمات، والتّونين الذي وردت فيه هذه النون، والذي يدلّ في أساسه على الاختفاء والظهور بين وقوعه آخر وأول الكلمة.

وفي الآية السادسة والسبعون قال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (76).

هذه الآية لا تختلف عن سابقتها؛ فقد تكرّر صوت (النون) فيها ستّ مرّات، يقع في كلّ مرّة بين متوسّط الكلمة وختامها، وفي معظم هذه المرّات جاء مفتوحاً على خلاف سابقه، ما يدلّ على بعث الاطمئنان والسكينة والأمل، ومن هذه الكلمات: (يَحْزَنُكَ، إِنَّا، نَعْلَمُ، يُسِرُّونَ، يُعْلِنُونَ)، حيث جاءت هذه الكلمات مركّبة من أصوات متباعدة من حيث مخارجها، وهي بذلك مؤلّفة من صوت (النون)، وهو أساسها الذي لم ترد كلمة وهي خالية منه- مجهور أَعْنٌ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، والذي انزلق من أصوات أخرى تسبقه أو تليه لتوصّل إليه، وأهمّ هذه الأصوات:

- (الزاي): مجهور، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، صفيريّ.

¹- ينظر، مجموعة من العلماء- عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: التفسير الميسر، ج7، ص478.

- (العين): مجهور، ليس بشديد ولا رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌ.
- (الهمزة): شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌ.
- (الواو): الممدودة، مجهورة، لينة.
- (اللام): مجهور، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌ، منحرف.

هذه الأصوات التي جاءت على ترتيبها التنازلي -منها إلى النون أو من النون إليها- متفاوتة بين رخوٍ صفيريٍّ ومنفتحٍ مستقلٍ، وبين شديدٍ مستقلٍ وممدودٍ مجهورٍ لينٍ، ومنفتحٍ مستقلٍ منحرفٍ، وهي بذلك بين الشدة والجهر والاستفال، متباعدة الصفات، خفيفة النطق، مُصيبة المعنى.

وقد تركبت مع بعضها لتشكّل لنا نظاماً منسجماً من حيث علاقة الأصوات المستخدمة في بنائها، والدلالة التي جاءت لتعبّر عنها هذه المفردات، حيث إنّها تدلّ في اجتماعها على إبعاد الحزن عن الرسول لكفر قومه بالله وتكذيبهم له واستهزائهم به؛ وأنهم سيجزون بما يخفون، وما يظهرون¹، ولذلك تمّ تكرار صوت النون في الأصوات الأصلية للكلمات، والذي يدلّ في أساسه على الاختفاء والظهور بين وقوعه آخر وأول الكلمة، وهذا ما يتوافق مع ما يظهره الكفّار وما يخفوه من شركٍ بالله ونفاق، وجاءت حركاته بين الضمّ والفتح لينشرح صدر الرسول ويرتاح بعد سماع الآية ويطمئن.

ج- صوت الهاء:

ورد صوت الهاء في سورة ياسين مكرراً مئة وأربعين مرّة، وسنحاول فيما يلي ذكر بعض الآيات التي ورد فيها لدراسة التناسب الصوتي فيها:

في الآية التاسعة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (9).

¹-ينظر: مجموعة من العلماء-عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: التفسير الميسر، ج8، ص34.

وفي الآية السابعة والخمسون قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ﴾ (57)

وفي الآية الخامسة والستون قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا

أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (65).

جاءت هذه الآيات، ومعظم آيات سورة ياسين تحتوي على صوت (الهاء)، باعتباره صوتا رخوًا، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، فإن حاولنا اتّباع المواضع التي وقع فيها، فسنجد أنّ معظمها - إن لم نقل كلّها- موضع ضمير الغائب، سواء الغائب المفرد أو الجمع، ومن ذلك في: (أَيْدِيهِمْ، خَلْفِهِمْ، أَغْشَيْنَاهُمْ، فَهُمْ، لَهُمْ، فِيهَا، فَاكِهَةٌ، لَهُمْ، أَفْوَاهُهُمْ، أَيْدِيهِمْ، تَشْهَدُ، أَرْجُلُهُمْ).

وبذلك نجد صوت (الهاء) دائماً ما يتّصل مع صوت (الميم) شفويّ مجهور، أغنّ، مُنْفَتِحٌ،

مُسْتَقِلٌّ، وفي بعض المرّات مع:

- (الياء): الممدودة، مجهور، ذائبٌ، لَيِّنٌ.

- (اللام): مجهور، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، منحرف.

- (الفاء): مهموس، رخو، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.

هذا الاختلاف في مخارج الأصوات التي تركّبت مع صوت (الهاء) في هذه الآيات قد شكّل

تناسبا صوتيّا في لفظها؛ حيث تناسب الصّوت هنا مع المعنى للدّلالة على:

- الكافرين الذين سُدَّتْ طرقهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فعميت أبصارهم بسبب كفرهم

واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشداً، ولا يهتدون¹، في الآية التّاسعة.

- المؤمنين الذين سينالون في الجنّة كلّ أنواع الفواكه اللّذيذة، وكلّ ما يطلبون من أنواع

التّعيم²، في الآية السّابعة والخمسون.

- المشركين الذين أخرسهم الله سبحانه وترك أيديهم وأرجلهم تشهد عليهم ما فعلوا³، في

الآية الخامسة والستون.

¹-ينظر: المصدر السابق، ج7، ص473.

²-ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص16.

³- نفسه، ج8، ص24.

ومنه فإننا نلاحظ أنّ وجود صوت الهاء دائماً وفي معظم الأحيان يدرج ليكون موضع الدلالة على الغائب، إمّا المفرد أو الجمع، والغائب المقصود في هذه الآيات هم المشركين تارة، والمؤمنين تارة أخرى، ولأنّ صوت (الهاء) رخو منفتح مستقل، فإنّ وجوده مع كلّ من (الميم) و(اللّام)، (الفاء)، و(الياء)، قد كان منسجماً، ذلك أنّ هذه الأصوات على الرّغم من بعدها عنه في المخرج إلّا أنّها قريبة منه في الصّفات، وهذا جعل التّعبير به خفيفاً، إذ وباعتباره منفتح مستقل قد اجتمع مع الأصوات التي تطابقه في هذه الصّفات، عدا الياء اللينة الذائبة.

د- صوت الرّاء:

ورد صوت الميم في سورة ياسين مكرّراً مئة وواحد وعشرين مرّة، وسنحاول فيما يلي ذكر بعض الآيات التي ورد فيها لدراسة التّناسب الصوتي فيها:

في الآية الثانية قال تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (2)

حيث جاءت كلمة "القرآن" مركّبة من أصوات متباعدة من حيث تركيبها ومخارجها، وهو الأمر الذي أحدث تناسبا بينها، فهي مؤلّفة من صوت (الرّاء) وهو ذلقيّ مجهور مكرّر، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، مُنْحَرَفٌ، وصوت (القاف) شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَعِلٌّ، مُقَلَّلٌ، و(الهمزة) شديد، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ، وأخيراً (النون) ذلقيّ مجهور أغنّ، مُنْفَتِحٌ، مُسْتَقِلٌّ.

هذا الاختلاف في مخارج الأصوات في هذه الكلمة شكّل تناسبا صوتياً في لفظها؛ فقد تناسب الصوت هنا مع المعنى للدلالة على كلام الله سبحانه وهو القرآن الكريم، لذلك جاء صوت الرّاء باعتباره ذلقيّ مجهور ملتحمًا مع كلّ من القاف المقلقلة والهمزة المنفتحة، والنون الغنّاء، ذلك أنّ اجتماعها مع بعضها يدلّ على أنّ القرآن هو كلمة الحقّ التي يجب أن تكون مجهورة مسموعة في آذان جميع الأقسام.

في الآية الخامسة قال تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْغَزِيرِ الرَّحِيمِ﴾ (5).

جاءت كلمة " الرَّحِيمِ " مركبة من أصوات منسجمة متناسبة صوتياً ومتباعدة مخرجاً، فهي مؤلفة من صوت (الراء) الدلّقي المجهور الصّامت، وصوت (الحاء) الحلقي الصّامت، وصوت (الميم) الشّفوي المجهور، وصوت (الألف) الهوائي، وصوت (النون) الدلّقي المجهور. والاختلاف في مخارج هذه الأصوات شكل تناسبا صوتياً في لفظها، وفي المعنى الذي جاءت لتدلّ عليه، فقد تناسب الصوت هنا مع المعنى للدلالة على الذات الإلهية وتوضيحها للمتلقّي، فالرحيم هنا وصف لـ"الله" عزّ وجلّ لأنّ رحمته وسعت كلّ شيء¹، لذلك اختتمت به هذه الآية للدلالة على رحمته التي وسعت كلّ شيء، وأنّه رحيم لمن تاب من عباده وعمل صالحاً.

هذه كانت جملة الأصوات التي تجاوز تكرارها المائة مرّة في سورة ياسين، مع الأصوات الهوائية اللينة من (الألف) التي تكررت حوالي أربعمئة وتسعة وسبعون مرّة، و(الواو) متتان وأربعة وعشرون مرّة، و(الياء) مئة واثنان وسبعون مرّة، دون أن ننسى صوت (اللام) الذي لم ندرجه في التحليل مع باقي الأصوات؛ ذلك أنّه جاء في معظم الأحيان مع الألف باعتباره أداة للتعريف، وأداة التعريف (ال) واضحة الدلالة لا تحتاج إلى تناسب أصوات الكلمات مع بعضها لتتواجد بينها.

2.2. التناسب من حيث الفواصل:

أمّا التناسب الصوتي في الفواصل القرآنية للسورة فقد حصل صوت النون على حصّة الأسد منها، مثل كلمة: "المُرْسَلِينَ"، "غَافِلُونَ"، "يُؤْمِنُونَ"، "مُقْمِحُونَ"، والتي فيها من الإخفاء والتستّر، يليه صوت الميم في: "الحَكِيمِ"، "الرَّحِيمِ"، "مُسْتَقِيمِ"، "كَرِيمِ"، لأنّهما خفيفتان على النطق مع خفة التوقّف عليهما، وقد تمّ اختيار هذه الأصوات بدقّة؛ ذلك أنّ قيمة الفاصلة القرآنية أكبر من قيمة الأصوات داخل الأبنية اللغوية الأخرى للآيات القرآنية، فكما رأى

¹فاية مذكور شلش، تجليات الصوت اللغوي في سورة الرحمان، مجلة آداب ذي قار، ع32، 2020، ص211.

السِّيَوطِي أَنَّ ختم سورة القرآن قد كثرت بأصوات المدِّ واللين والنون لوجود التمكن من التطريب بها.

كما أنّ أكثر الفواصل القرآنية وجوداً في سورة ياسين هي المدود الطويلة نحو الضمّ والكسر؛ أو مدود الواو والياء اللذان يسبقان النون والميم في الفواصل القرآنية، ذلك أنّ الواو يتميز باعتباره صوت مجهور لينا، وظيفته في التركيب تختلف عن وظائف غيره من الأصوات؛ والتي تتمثل في "مدّ الصّوت بها"¹، والياء باعتبارها صوت مجهور، ذائبٌ، لينٌ، وهما موجودتان في جميع فواصل السّورة تقريباً، سابقان لأصوات النون والميم.

لم تمتاز الفواصل القرآنية الخاصة بسورة ياسين بالتعدّد والتنوّع لأنّها تتناول موضوعاً واحداً فقط لا يستدعي كثرة الفواصل ولا استخدام الأصوات الشديدة فيها، لذلك انتهت جميع آيات هذه السّورة بمدّ بعده صوت مجهور خفيف مستقلّ، كالنون تارة، والميم تارة أخرى.

ومنه فالفاصلة القرآنية لا تقف عند حدّ الصّوت والوقوف عليه فقط؛ بل إنّها تشكّل "لوحة جمالية تعطي النصّ القرآنيّ ميزة الإعجاز في الأداء، فهي لا تقف عند المستوى الصوتي والدلالي بل تتصل بمستويات أخرى كالمستوى النحوي والبلاغي²؛ فهي تساعد على اختيار المفردات المناسبة انطلاقاً من الأصوات الدّاخلية في تركيبها ودلالاتها، والتي تتوافق مع السياقين المقالي و المقامي (أسباب النزول) للسّورة القرآنية، ولذلك فإنّ الأصوات تساهم بشكلٍ أو بآخر في تفسير دلالة الآيات.

أمّا عن أنواع الفواصل القرآنية المتواجدة في سورة ياسين فإنّها تتنوّع بين الفواصل المتوازنة، والفواصل المنفردة، والفواصل المتقاربة؛ أمّا الأولى -المتوازنة- فهي ما تراعي "في مقاطع الكلام والوزن"³، حيث تختلف فاصلة آية ما عن فاصلة الآية التي تليها لأنّ العبرة

¹-المطلبي، غالب فاضل: في الأصوات اللغوية -دراسة في أصوات المدّ العربيّة، دائرة الشئون الثقافية والنشر-1984، الجمهوريّة العراقيّة منشورات وزارة الثقافة والإعلام-سلسلة دراسات (364)، ص94.

²-بوكروشة فوزية، سلطاني الجيلالي، أثر التّناسب الصوتي في استجلاء المعنى في القرآن-، مرجع سابق، ص17.

³-محمّد بولخوط، أضرب الفواصل في القرآن الكريم، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، جامعة تامنغست-الجزائر، مجلّد 11، عدد 2، 2022م، ص42.

ليست بأواخر الحروف بل بإيقاعها ووزنها، والثانية -المنفردة- هي الفواصل التي " لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب، كالفاصلة التي ختمت بها سورة الضحى"¹، هذا النوع من الفواصل هو الأقل تواجدا في القرآن الكريم، أما الثالثة -المتقاربة- فهي " التي تقاربت حروف رويها"²، مثل: تقارب الميم والنون، والدال والباء، الدال والطاء، والزاء واللام... الخ.

ولتوضيح ذلك سنذكر الآيات من سورة ياسين التي تبين التناسب الصوتي من حيث

فواصلها:

أ. الفاصلة المتوازنة:

الفاصلة التي تنتهي بها هذه السورة هي النون والميم، وتتكون من مقطع صوت النون والمقطع الذي قبله هو حرف مدّ واويّ/ يائي ساكن، ونوع الفاصلة هنا متوازنة ومتماثلة، وهذان الصوتان النون والميم وما قبلهما من مدّ واويّ/ يائي ساكن قد تناسبا صوتياً، ما انعكسا على دلالة الآية فخلق انسجاماً بين الفاصلة ومعنى الآيات.

1. حيث استهل الله سبحانه وتعالى السورة بالحروف المقطعة (يس)؛ "هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطعة في أوائل السور فيها إشارة إلى إعجاز القرآن:
2. فقد وقع به تحدياً للمشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. فدالّ عجز العرب عن الإتيان بمثله -مع أنهم أفصح الناس- على أنّ القرآن وحي من الله"³، وهذه آية من آيات حكمة الله سبحانه وتعالى وأسرار خلقه، ومن الآيات التي احتوت على هذا النوع من الفاصلة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا

¹-المرجع نفسه، ص40.

²-محمد بولخوط، المرجع السابق، ص39.

³- مجموعة من العلماء، عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: التفسير الميسر،

ج1، ص15.

أَنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12) ﴿ سورة يس (6) (12).

ب. الفاصلة المنفردة:

وما أكثر هذا النوع من الفواصل في سورة ياسين؛ حيث نجد الحرف الذي قبل حرف الفاصلة القرآنية واوًا تارة وياء تارة أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلْنِكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17)﴾ سورة يس 16- 17 .

فالفاصلة في هذه الآية جاءت مركبة من صوت التّون المتحرّك وما قبله واو في الآية الأولى، وياء في الثانية، هذا الإنفراد في تركيب الفاصلة أحدث تناسبا صوتيا بين الفاصلة ومعنى الآية التي دلّت على إعجاز الله عزّ وجلّ خاصّة أنّ معظم فواصل السّورة تتأرجح بين كلّ من الميم والتّون وهما متناسبان، وما قبلهما واو وياء وهما متناسبتان كذلك.

د. الفاصلة المتقاربة:

قال تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4)﴾. سورة

يس 2-3-4

والفاصلة في الآيتين الثانية والرابعة تتكوّن من صوت الميم وما قبله ياء ساكنة هذا في كلمتي "الحكيم" و"مستقيم"، ووردت متكوّنة في الآية الثالثة من صوت التّون وما قبله ياء ساكنة، وهنا نلاحظ أنّ صوتي الميم والتّون متناسبان وهو ما أحدث تناغما وانسجاما صوتيا

انعكس بدوره على معنى آيات القسم؛ التي يقسم فيها الله سبحانه وتعالى بالقرآن المحكم بأحكامه، أنّ الرسول من المرسلين بوحى الله للعباد، وعلى طريقٍ مستقيمٍ معتدل هو الإسلام.

وفي الجدول المواليّ توزيع هذه الفواصل على آيات سورة ياسين:

الآية	نوع الفاصلة	عدد الآيات	دلالة الآية
من 1-12	متنوعة بين "يم" و"ين" و"ون"	12	القسم بالقرآن الكريم على صحّة نزول الوحي.
من 13-19	"ون"، "ين"، "يم"	7	قصة أهل القرية الذين كذبوا الرّسل
من 20-30	"ين"، "ون"	31	موقف الدّاعية المؤمن حبيب النّجار
من 31-47	"ون"، "يم"، "ين"	17	دلائل القدرة والوحدانية في الكون وعقاب الله تعالى لأهل القرية
من 48-70	"ين"، "ون"، "يم"	23	أهوال القيامة
من 71-83	"ون"، "ين"، "يم"	13	حال أهل الجنّة والبعث والجزاء

يبين الجدول ترتيباً في عدد الفواصل التي وردت في سورة ياسين، مع دلالة كلّ آية، وهذا التّرتيب خلق تناسب صوتياً مع هذه الآيات التي وردت مرتبة مع ترتيب الآيات التي ابتدأت بقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن المحكم على صحّة الوحي إلى حال أهل الجنّة والبعث والجزاء.

ومنّه نستنتج أنّ اللّغة -فعلاً- عبارة عن أصوات تستخدم للتعبير، تتكوّن هذه الأصوات مع بعضها وفق نظامٍ معيّن، وبما يتوافق مع صفاتها وخصائصها الدّلالية، لتبني لنا مجموعة من المفردات، هذه المفردات التي تحمل كلّ منها دلالتها الخاصّة بها والتي لا يمكن أن تترادف مع دلالة مفردة أخرى، طالما أنّ لكلّ منهما أصواتها الخاصّة بها والتي تكوّنت منها وفق ترتيبٍ محدّد، لتساهم بدورها في توجيه دلالة السّياق ومعانيه.

- من حيث تناسب المقاطع:

بعد أن درسنا التناسب الصوتي من حيث انسجام الأصوات ببعضها البعض، وتباعداً خارجها وإن تقاربت صفاتها، وبما أنّ أصوات اللين من (الألف) إلى (الواو) ف(الياء) قد أخذت حصتها من التكرار -كما رأينا سابقاً-، وأن وجودها يغلب إمّا على أدوات التعريف كما رأينا مع الألف، وإمّا على أواخر الفواصل القرآنية فيما يسبق كلّ من الميم والنون، كما رأينا مع كلّ من الواو والياء.

بما أنّ الألف صوت هوائي لين، وباجتماعه مع لام التعريف لافتتاح معظم مفردات السورة القرآنية ذات الوقع الخاصّ على المتلقّي، ك:(القرآن، الحكيم، المرسلين، الذّكر، الرّحمان، الموتى...)، قد تناسبت خفته ولينه مع خفة نطق هذه المفردات وغيرها على أهميتها للتعريف بها وتحديدها.

أمّا عن كلّ من الواو والياء، فالأولى شفوية، هوائية، مجهورة، لينّة، والثانية هوائية، مجهورة، ذائبة، لينّة، قد تناسبت مع صوتي الميم والنون في خواتيم الآيات أو الفواصل القرآنية؛ حيث أنّ فاتحة الآية كانت بمد الألف اللين، وخاتمتها إمّا بالواو أو الياء مع كلّ من الميم والنون، وهي من أنسب الأصوات لهذه المواضع، ولذلك اعتبرت سورة يس من أخفّ السور قراءة وتلاوة حتى على الألتغ الذي يصعب عليه نطق صوت الرّاء.

ولما أنّ فواتح الآيات وخواتمها تعدّ أهمّ من الأبنية اللغوية الدّاخلية في تركيب السورة، فإنّ وجود هذه المدود في مقاطع مناسبة مع أصوات مناسبة كاللّام والميم والنون، يغنيننا عن دراسة المقاطع الصوتية الدّاخلية في أبنية الآيات لأنّها ومن دون شكّ ستكون على البناء نفسه.

فإن حاولنا تحديد التقدير المدرج لكلّ نوعٍ من أنواع المقاطع الصوتية لوجدنا أنّ المقاطع المتوسطة قد أخذت حصّة الأسد؛ والتي تتركّب من: (صامت+ حركة قصيرة+ صامت)، ذلك بما يتوافق مع العدد التكراري الهائل لأصوات اللين، بدءاً من الألف إلى الواو فالياء، وما يتوافق مع دلالة آيات السورة التي تنقلب بين الضيق تارة والانفتاح تارة أخرى -كما رأينا في

تفسير الآيات السابقة-، ومن النماذج الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾

سورة يس 5.

- تَنْزِيلٌ: صامت + حركة قصيرة + صامت / صامت + حركة طويلة / صامت + حركة قصيرة.
- {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.

- مُبِينٌ: صامت + حركة قصيرة / صامت + حركة طويلة / صامت + حركة قصيرة.

وما نلاحظه من هاذين النموذجين ينطبق على معظم مفردات سورة ياسين - إن لم نقل جميعها-، ذلك أن هذه المقاطع المتوسطة هي الأخف نطقاً على اللسان.

- من حيث التكرار الصوتي:

أما عن التكرار الصوتي فهو ذو فائدة عظيمة وخاصة عند وجوده في القرآن الكريم بين آيات التحذير والعقاب، وآيات الترغيب والنعم، إذ أنه يساعد على شدّ انتباه القارئ والسماع، للاتعاض وعدم الغفلة، وهو يدلّ في النصوص القرآنية على التوافق الصوتي بين مجموعة الحركات والسكنات لتأدية وظائفها السمعية والتأثير في المتلقي، وقد كان هناك تناسب صوتي في التكرار الذي ورد في سورة ياسين في عدد من الآيات وهي:

قال تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يس 7.

قال تعالى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ سورة يس 14 .

ورد تكرار هاذين المقطعين من هاتين الآيتين في سورة ياسين أكثر من مرّة، هذا التكرار خلق نغماً صوتياً انسجم وتناسب مع مدلول هاتين الآيتين؛ حيث أنّ التكرار الصوتي لهذه لهما تناسب مع دلالتها التي جاءت لتأكيد عدم إيمان المشركين وإرسال الله سبحانه وتعالى رسلاً حتى يدعوهم إلى عبادة الله.

هذا التكرار وغيره من أنواع التكرار الأخرى (تكرار الكلمات) فد ساهم في التناغم الصوتي للآيات، وخلق نوعاً من التناسب مع معاني الآيات التي جاءت للتأكيد على الجزاء والعدل من قبل الله سبحانه وتعالى لمن آمن واتّبع وكفر فأشرك به.

المبحث الثالث: التعريف بسورة الرحمان وفضلها.

1.3. تعريف وصفي لسورة الرحمان:

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والذي نقل إلينا بالتواتر بداية بسورة الفاتحة وختاماً بسورة الناس، أنزله الله عز وجلّ شفاء ورحمة للناس به أخرجهم من الظلمات إلى النور.

وقد نزلت سور القرآن الكريم في أماكن مختلفة، منها ما نزل في المدينة فسميت سورها مدنيّة، ومنها ما نزلت في مكة المكرمة وسميت سورها مكّيّة، ومن بين السور التي أنزلها الله عز وجلّ، سورة "الرحمان" وسنشير إليها وإلى فضلها.

وقد اختلف في زمن نزولها وبالتالي لم يحقّق القول برتبتها، فهناك من بنى قوله على مدنيّتها عدّها ثامنة وتسعين، وجعلها بعد سورة الرعد وقبل سورة الإنسان¹،

وفي رأي ابن مسعود ومقاتل فإنّ سورة الرحمان مدنيّة كلّها، وقد كتب في بعض المصاحف أنّها مدنيّة، والأصحّ كما ذكر القرطبي وابن كثير والجمهور أنّها مكّيّة كلّها، وهو قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة، وقال ابن عباس: إلاّ آية منها هي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وهي ثمان وسبعون (78) آية، وعدّها بعضهم (76) آية.²

هذا ولقبت بعروس القرآن، وهي السورة الخامسة والخمسون في المصحف العثماني، والسورة الخامسة من قسم المفصل، بعد سورة الدّاريات، الطور، النّجم، وهي في مصحف (ابن مسعود) أوّل المفصل، يليها في العثماني سورة الواقعة.³

¹- سعيد جوي، الأساس في التفسير، ط1، دار السلامة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1985م، ج10، ص39-56.

²- وهيبه الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج14، ج27 و28، ط10، ط3، دار الفكر، دمشق، 2009م، ص204.

³- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص215.

وقد سميت بسورة الرحمان لافتتاحها باسم من أسماء الله الحسنى وهو "الرحمان" وهو اسم مبالغة من الرحمة، وهو أشد مبالغة من الرحيم وهو المنعم بجلال النعم ولجميع الخلق، أما الرحيم: فهم المنعم بدقائق النعم، والخاص بالمؤمنين.¹

وقيل أن سبب نزولها هو قول المشركين المحكي عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾² (سورة الفرقان، الآية 60)، فتكون تسميتها باعتبار إضافة سورة إلى الرحمان على معنى إثبات وصف الرحمان...، فردّ الله على المشركين بأنّ الرحمان هو الذي علم النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآن.³

2.3. فضل سورة الرحمان:

عن عليّ رضي الله عنه، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: لكلّ شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمان.⁴

وظاهر المعنى أي: لكل جنس أو نوع واحد من جنسه يزيّنه، تقول العرب: عرائس الإبل لكرائمها، فإنّ العروس تكون مكرّمة مزيّنة مرعية من جميع الأهل بالخدمة والكرامة، ووصف سورة الرحمان بالعروس تشبيهه ما تحوي عليه من ذكر الحبرة والنّعيم في الجنّة بالعروس في المسرة والبذخ، تشبيهه معقول بمحسوس، ومن أمثال العرب لا عطر بعد عروس، أو تشبيهه ما كثر فيها من تكرير قوله تعالى: " فبأيّ ألاء ربكما تكذبان " بما يكثر على العروس من الحليّ في كلّ ما تلبسه.⁵

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الرحمان أدى شكر ما أنعم الله عليه.⁶

¹- أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1986م، ج9، ص2251.

²- سورة الفرقان، الآية 60.

³- محمد الطاهر بن عاشور، التّحرير والتّوير، ج27، ص228.

⁴- الديهقي في شعب الإيمان، تح: محمد السعيد بسبيوني الزّغول، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1410 هـ، ج6، ص37.

⁵- التّحرير والتّوير، ج27، ص214.

⁶- الزّمخشري، الكشّاف، ج4، ص443.

وفي تفسير القرطبي: أنّ قيس بن عاصم المنقري قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اتل عليّ ممّا أنزل عليك، فقرأ عليه سورة الرحمان، فقال: أعدّها، فأعادها ثلاثاً، فقال: والله إنّ له لطلاوة، وإنّ عليه لحلاوة، وأسفله لمغدق، وأعلاه مثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد ألاّ لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله.¹

وعن جابر بن عبد الله أنّه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمان من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلّما أتيت على قوله تعالى: ﴿ قالوا : لا شيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد .²

سورة الرحمان من السور المكيّة التي تعالج أصول العقيدة الإسلاميّة، تبتدئ السورة الكريمة بتعديد آلاء الله الباهرة الظاهرة، في جميل صنعه، وإبداع خلقه، وفيض نعمائه، وفي تدبيره للوجود وما فيها، وتوجّه الخلائق كلّها إلى وجهه الكريم، وكلّ هذه النعم أثر من آثار رحمة الله التي أفاض بها على عباده، تذكيراً لهم بواجب الشكر و الامتتان.³

من النعم التي أحصاها الله في سورة الرحمان، نعمة الدّين والوحي، وإنزال القرآن وتعليمه عباده به، فهو النعمة الكبرى، ثمّ أتبعه ببيان خلق الإنسان ليعلم أنّه إنّما خلقه للدّين، والإفادة من الوحي وكتاب الله، ثمّ ذكر ما تميّز به عن سائر الحيوان من البيان: وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير.⁴

¹ أبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، جامع أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج17، ص151.

² ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص415،

³ محمد علي الصّابوني، إيجاز البيان في سور القرآن، ط2، 1979م، ص225.

⁴ وهيبه الرّحيلي، مرجع سابق، ص206.

سورة الرحمن من السور المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية، تبتدئ السورة الكريمة بتعديد آلاء الله الباهرة الظاهرة، في جميل صنعه، وإبداع خلقه، وفيض نعمائه، وفي تدبيره للوجود وما فيها، وتوجه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم، وكل هذه النعم أثر من آثار رحمة الله التي أفاض بها على عباده، تذكيرا لهم بواجب الشكر والامتنان.¹

من النعم التي أحصاها الله في سورة الرحمن، نعمة الدين والوحي، وإنزال القرآن وتعليمه عباده به، فهو النعمة الكبرى، ثم أتبعه ببيان خلق الإنسان ليعلم أنه إنما خلقه للدين، والإفادة من الوحي وكتاب الله، ثم ذكر ما تميّز به عن سائر الحيوان من البيان: وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير.²

المبحث الرابع: دراسة التناسب الصوتي في سورة الرحمن.

اللفظ مجموعة من الأصوات المجتمعة للتعبير والدلالة على معاني معينة، وهذا ناتج عن الارتباط الشديد بين الصوت والمعنى، وإذا تأملنا القرآن الكريم نجده يراعي الخصائص الصوتية للفظ التي تتفق مع السياق الوارد فيه.³

وتتجلى أهمية دراسة التناسب الصوتي في القرآن الكريم للكشف عن دور الصوت في صنع معاني السور ودلالاتها، وسورة الرحمن مثلها مثل باقي سور القرآن الكريم يظهر فيها التناسب الصوتي في آياتها في مواضع عدّة وهي كالاتي:

1.4. التناسب من حيث مخارج الأصوات وصفاتها.

قبل أن ندرس التناسب الصوتي في سورة الرحمن من حيث مخارج الحروف، يجدر بنا أن نحدّد مخارج الحروف التي وردت في هذه السورة والتي هي كما يلي:

الحروف	مخارجها	صفة المخرج
أ	هوائِي	

¹-محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص225.

²-وهيبة الرّحيلي، المرجع السابق، ص206.

³-مقدودة زَمّوري، أمال شوكي، التناسب في القرآن الكريم - نماذج مختارة-، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص دراسات لغوية، جامعة المسيلة، 2017-2018، ص49.

الجهر والشدة.	شفوي	ب
الشدة والإصمات	نطعي	ت
الجهر، الإصمات	لثوي	ث
الجهر، الشدة، الإصمات.	شجري	ج
الإصمات	حلقي	ح
الإستعلاء، الإصمات.	حلقي	خ
الجهر، الشدة، الإصمات.	نطعي	د
الجهر، الإصمات	لثوي	ذ
الجهر، التوسط	ذلقي	ر
الجهر، الإصمات	أسلي	ز
الإستعلاء، الإطباق	أسناني، لثوي	ص
الجهر، الإستعلاء، الإطباق	شجري	ض
الشدة، الجهر، الإطباق، الإصمات.	نطعي	ط
الجهر، الإصمات، الإستعلاء	لثوي	ظ
الإصمات	أسناني	س
الإصمات	شجري	ش
الجهر، الإستعلاء	حلقي	ع
/	حلقي	غ
/	شفوي	ف
الجهر، الشدة، الإستعلاء	لهوي	ق
الشدة	لهوي	ك
الجهر، التوسط	لثوي، ذلقي	ل
الجهر، التوسط	شفوي	م
الجهر، التوسط	ذلقي	ن
/	حلقي	هـ
الجهر	شفوي، هوائي	و
الجهر، الشدة	حلقي	ء
الجهر	هوائي	ي

تحتوي سورة الرحمان على عدد من المخارج التي توزعت على كل آياتها، وأكثر المخارج

الغالبية على آيات السورة الكريمة نجد "النون" بشكل كبير، ثم "الميم" و"الراء"، و"الباء".

ويظهر التناسب في الأصوات في سورة الرحمان إما في لفظة واحدة أو ألفاظ مؤلفة تختلف في مخارجها، هذا الاختلاف يشكّل تناسبا صوتيًا يحدث تناغما صوتيًا بين الألفاظ ومن بين الألفاظ المتناسبة من حيث مخارج الحروف في سورة الرحمان نذكر:

أ- حرف النون:

ورد حرف النون في سورة الرحمان مكرراً مائة وثلاثة وثلاثون مرة، وسنحاول فيما يلي ذكر بعض الآيات التي ورد فيها مخرج حرف النون ودراسة التناسب الصوتي فيها.

- في الآية الأولى: ﴿الرَّحْمَنُ (1)﴾¹:

جاءت كلمة "الرحمان" مركبة من أصوات متباعدة من حيث مخارجها، وهو الأمر الذي أحدث تناسبا بينها، فهي مؤلفة من صوت (الراء) هو ذلقي مجهور صامت، وصوت (الحاء) هو حلقي صامت، وصوت (الميم) هو شفوي مجهور، وصوت (الألف) هو هوائي، وصوت (النون) هو ذلقي مجهور، فالاختلاف في مخارج الحروف في هذه الآية شكّل تناسبا صوتيًا في لفظها، وفي المعنى فقد تناسب الصوت هنا مع المعنى للدلالة على الذات الإلهية وتوضيحها للمتلقى فالرحمان هنا وصف لـ"الله" عزّ وجلّ لأنّ رحمته وسعت كلّ شيء²، لذلك افتتح بهذه الآية مطلع السورة للتشويق إلى ما سيخبر به عنه، فجاءت مخارج أصوات هذه الآية مختلفة ما أحدث تناسبا في الصوت والمعنى.

في الآية الثانية: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾³:

تتضمّن هذه الآية لفظة "القرآن"، هذه اللفظة مركبة من ستّة أصوات وهي: صوت (اللام) وهو ذلقي مجهور، وصوت (القاف) وهو لهوي قلقي، وصوت (الراء) وهو صوت ذلقي مجهور، وصوت (الهمزة) وهو حلقي مجهور، وصوت (الألف) وهو صوت هوائي، وصوت (النون)

¹-سورة الرحمان، الآية 1.

²-كفاية مذکور شلش، تجليات الصوت اللغوي في سورة الرحمان، مجلة آداب ذي قار، ع32، 2020، ص211.

³-سورة الرحمان، الآية 2.

وهو لثويّ مجهور، هذه الأصوات مختلفة المخارج في لفظة القرآن خلقت تناسباً وانسجاماً صوتياً، هذا التناسب الصوتي الذي تألف وتناسب مع معنى الآية للدلالة على أعظم نعم الله وأعلى مراتبها وأقصى مراقبها وهي إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه.¹

في الآية الثالثة خلق الإنسان²:

وردت في هذه الآية مجموعة من مخارج الأصوات المختلفة في لفظة الإنسان وهي: صوت (اللام) وهو لثويّ متوسطيّ، وصوت (الهمزة) حلقيّ مجهور، وصوت (النون) صوت ذلقيّ مجهور، وصوت (السين) لثويّ أسنانيّ، وصوت (الألف) هوائيّ، وصوت (النون) ذلقيّ مجهور. هذا الاختلاف الصوتي في مخارج الحروف خلق تناسباً صوتياً مع معنى الآية التي جاءت لتوضيح نعمة أخرى من نعم الله عزّ وجلّ ألا وهي نعمة الخلق، فهو الذي خلق الإنسان بعد أن علّم القرآن.

في الآية: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَ النُّجْمُ وَالشَّجَرُ

يَسْجُدَانِ (6)﴾³:

تضمّنت هذه الآية عدداً من الكلمات مختلفة المخارج الصوتية، وهي: **الْبَيَانَ**: تتكوّن من خمسة أصوات، صوت (اللام) لثويّ متوسطيّ، وصوت (الباء) شفويّ شديد، وصوت (الياء) هوائيّ مجهور، وصوت (النون) صوت ذلقيّ مجهور. **بِحُسْبَانٍ**: تتكوّن من مجموعة من الأصوات وهي: صوت (الباء) شفويّ شديد، وصوت (الحاء) حلقيّ صامت، وصوت (السين) لثويّ أسنانيّ، وصوت (الباء) شفويّ شديد، وصوت (الألف) هوائيّ، وصوت (النون) ذلقيّ مجهور. **يَسْجُدَانِ**: وتتألّف هي الأخرى من مجموعة من الأصوات المختلفة من حيث المخرج، والتي هي صوت (الياء) هوائيّ مجهور، وصوت (السين) لثويّ أسنانيّ، وصوت (الجيم) شجريّ.

¹- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 229.

²- سورة الرحمان، الآية 3.

³- سورة الرحمان، الآية 6.

مجهور شديد، وصوت (الدال) نطعي مجهور مشدد، وصوت (الألف) هوائي، وصوت (النون) وهو صوت ذلعي مجهور.

هذه الكلمات التي وردت في الآية والتي اختلفت في مخارج أصواتها، شكّلت لنا تناسباً صوتياً وانسجماً انعكس بدوره على مدلول الآية، فهذا التآلف الصوتي انسجم مع المعنى العام للآية فالله تعالى يخبر عن فضله ورحمته بخلقه أنّه أنزل على عباده القرآن ويسرّ حفظه وفهمه، كما يذكر من نعمه في الكون أن خلق الشمس والقمر يجريان في الكون بحساب مقدر ومعلوم، وعن عظيم قدرته وسلطانه أن يسجد له من في السماوات والأرض من نجم وقمر وشجر.¹

ب- حرف الميم:

من مخارج الحروف التي وردت في سورة الرحمان إلى جانب حرف "النون" نجد حرف "الميم" وقد ورد هذا الحرف في المخرج الصوتي في كلمة "الأنام" في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا الْأَنَامُ﴾².

والميم هنا صوت شفوي مجهور رخوي، وقد تناسب هذا الصوت مع معنى الآية فوضعها للأنام أي خفّضها لهم وجعلها تحت أقدامهم وجنوبهم لتمكينهم من الانتفاع بها بجميع ما لهم فيها من منافع ومعالجات، والأنام هنا حسب الزمخشري هو الخلق وكلّ ما ظهر على وجه الأرض من دابة، فقد تناسب الصوت بما يحمله الميم من توسط بين شدة ورخاوة ووضوح سمعي داخلي وخارجي مع معنى الآيات التي بينت نعم الله على الإنسان.³

¹-ابن كثير القرشي، تفسير سورة الرحمان لابن كثير، د ط، د م ن، المكتبة العربية للكتب والمعارف، ص4-5.

²-سورة الرحمان، الآية10.

³-زينب زيادة دسوقي، الدرس اللغوي في سورة الرحمان في ضوء الدرس اللغوي الحديث، حولية كلية اللغة العربية بجرجا مجلة محكمة، ع2017، 21، ص1137.

كما نجد الآية الحادي عشر والتي يقول فيها الله تعالى: ﴿فِيهَا فَآكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾¹، تتضمن لفظة الأكمام : وهذه اللفظة مكونة من ستة أصوات وهي: (اللام) وهو صوت مخرجه لثوي متوسطي، و(الألف) وهو هوائي، و(الكاف) لهوي شديد، الميم) شفوي مجهور، و(الألف) لهوي، (الميم) شفوي مجهور.

فالملاحظ هنا أنّ هذه الأصوات مختلفة المخرج، لكنّها متناسبة ومنسجمة صوتياً، مضمية على اللفظ تناغماً، فهذا التركيب والتناسب الصوتي يتوافق مع ما تدلّ عليه الآية من تفصيل لمنافع الأرض التي سخرها الله للبشر من فاكهة ونخل.²

ونجد أيضاً الآية الواحدة والأربعون من سورة الرحمان والتي يقول فيها عزّ وجلّ: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (41) تشتمل على أصوات مختلفة من حيث المخرج فلفظة "الأقدام" تتكوّن من أصوات اللام والقاف والدال والميم، حيث صوت (اللام) لثوي متوسطي، و(القاف) لهوي مجهور شديد قلبي، و(الدال) نطعي مجهور شديد، و(الميم) شفوي مجهور.

هذه الحروف مختلفة المخرج متناسبة صوتياً، انسجمت مع معنى الآية وهو استئناف التقرير والتوبيخ للكافرين بظهور علاماتهم للملائكة ويعرفونهم بسماهم فيؤخذون أخذ عقاب ويساقون إلى الجزاء.³

ج- حرف اللام:

اللام حرف لثوي (مابين حافتي اللسان معا إلى منتهاها وما يحاذيها من اللثة العليا) مجهور.⁴

¹-سورة الرحمان، الآية 11.

²-أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج8، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د ت، ص176.

³-محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص263.

⁴-محمود بن رأفت بن زلط، أحكام التجويد والتلاوة، ط1، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006 م، ص54.

وقد ورد ذكر هذا الحرف في عدد من الآيات منها:

الآية الرابعة عشر من سورة الرحمان، يقول تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ

كَالْفَخَّارِ¹.

فيها لفظة "صَلْصَالٍ" والتي تتألف من أصوات مختلفة المخرج وهي (الصّاد) وهو صوت لثويّ أسنانيّ مهموس، و(اللام) وهو لثويّ متوسّطيّ، و(الألف) وهو هوائيّ، هذه الأصوات شكّلت تناسبا وتناغما في هذه اللفظة والذي انسجم مع مدلول الآية التي تبين طبيعة خلق الإنسان ومنبته.

ونذكر أيضا الآية السابعة والعشرين، في قوله تعالى: ﴿وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ²، التي تناسبت أصواتها، حيث نجد لفظة "جَلَالٍ" فيها صوت (الجيم) الشجري المجهور الشديد يتناسب وصوت (اللام) اللثوي المتوسّطي، وصوت (الألف) وهو صوت هوائيّ. والملاحظ على هذه اللفظة أنّها تناسبت في أصواتها ما أضاف عليها نوعا من الرّونق والتّناغم الذي بدوره انسجم مع معنى الآية في استشعار عظمة الله عزّ وجلّ، وأنّه لا يحول بين النّاس وبين ما قدّره الله شيء³، فهو ذو الاستغناء المطلق.

د-حرف الباء:

من مخارج الحروف أيضا التي ورد ذكرها كثيرا في عدد من آيات سورة الرحمان حرف "الباء" وهو حرف شفويّ مجهور شديد.

¹-سورة الرحمان، الآية 14.

²-سورة الرحمان، الآية 27.

³-محمّد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص 252.

ورد ذكره في الآية السابعة عشر من سورة الرَّحْمَانِ في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾¹، في لفظتي "رَبُّ" المتكوّنة من صوتين (الرّاء) وهو صوت ذلقيّ مجهور متوسطيّ، وصوت (الباء) وهو شفويّ مجهور شديد، وقد تناسب الصّوتان معا. ونجد ذلك أيضا في الآية التاسعة عشر في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾²، وردت لفظة "الْبَحْرَيْنِ"، المتكوّنة من خمسة أصوات (الباء) شفويّ مجهور شديد، و(الحاء) حلقيّ صامت، و(الرّاء) ذلقيّ مجهور متوسطيّ، و(الياء) صوت هوائيّ مجهور، و(النون) وهو صوت ذلقيّ مجهور.

هذه الأصوات رغم اختلافها في المخارج إلا أنّها خلقت تناسبا صوتيا انسجم مع دلالة الآية ومعناها، فسبحانه عزّ وجلّ هو من آياته وآلائه المشرقان والمغربان، والتّناسب الصوتي في هذه الآية انطبق على كون المشرقين والمغربين من أسباب الحياة، فلولا سببانه لما وجدا فقوله "رَبُّ" تناسب الصّوت هنا مع قدرته تعالى وعظمته ونعمه وخلقه، فالحياة تنشأ مع الشّروق وتحتاج كذلك للغروب، ومثلما تتضح عظمة الله عزّ وجلّ في كونه صاحب خلق المشرق والمغرب كذلك أنّ أرسل في الأرض بحارا تجري بقدرته وتصريفه (البحران المشار إليهما هما البحر المالح والعذب).³

ومن الآيات أيضا التي ورد فيها مخرج حرف الباء قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا

يَبْغِينَ (20)﴾.⁴

والتي تتضمّن لفظة برزخ والتي تتألّف من أربعة أصوات، (الباء) شفويّ مجهور شديد، و(الرّاء) صوت ذلقيّ مجهور متوسطيّ، و(الزّاي) أسليّ مجهور، و(الخاء) حلقيّ صامت،

¹-سورة الرَّحْمَانِ، الآية 17.

²-سورة الرَّحْمَانِ، الآية 19.

³-زينب زيادة دسوقي، المرجع السّابق، ص 1135.

⁴-سورة الرَّحْمَانِ، الآية 20.

ورغم الاختلاف في مخارج هذه الأصوات إلا أنها أنتجت تناسبا صوتيًا، انسجم بدوره مع معنى الآية، فالتناسب الصوتي في مخارج الأصوات في لفظة برزخ بين عظمته عز وجل وقدرته في خلق حاجز بين البحار (بين البحر المالح والبحر العذب).

كان هذا فيما يخص التناسب الصوتي من حيث مخارج الحروف في سورة الرحمان، وقد ركزنا على مخارج الحروف الأكثر ذكرا و ورودا في السورة منها النون والباء والميم واللام. وسنتطرق في العنصر الموالي إلى التناسب الصوتي في سورة الرحمان من حيث تناسب الفواصل.

2.4. التناسب من حيث الفواصل:

التناسب الصوتي في القرآن الكريم لا يكمن فقط في مخارج الحروف، وإنما نجد ذلك أيضا في الفواصل، لذلك عدت الفواصل في القرآن الكريم ظاهرة صوتية، وسورة الرحمان نموذج عن سور القرآن التي وردت فيها الفواصل في مواضع عدة، حيث نجدها في حرف النون أين وردت 71 مرة، ثم حرف الراء، وحرف الميم. ولتوضيح ذلك سنذكر آيات من سورة الرحمان التي تبين التناسب الصوتي من حيث فواصلها:

أ- الفاصلة المتوازنة:

يقول تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمَ وَالشَّجَرَ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)﴾.¹

¹ -سورة الرحمان، الآية 1-9.

الفاصلة التي تنتهي بهذه الآية هي حرف النون، وهي تتكوّن من مقطع صوت النون والمقطع الذي قبل الرّاء هو حرف مد ساكن، ونوع الفاصلة هنا متوازنة ومتماثلة، فهذان الصّوتان النون الساكن وما قبله مدّ ساكن قد تناسبا صوتيًا ما انعكس على دلالة الآية فخلق انسجاما بين الفاصلة ومعنى الآية.

حيث استهلّ السّورة باسم من أسمائه الحسنی وهو الرّحمة، ثم ذكر تعليمه للقرآن وخلق له للإنسان وفي ذلك تعداد لنعمه عزّ وجلّ وخلق له للشمس والقمر يجريان في الكون بحساب مقدر ومعلوم، وخلق كذلك للنجم والشجر اللذان يسجدان له، وخلق السماء مرفوعة محلاً ورتبة وتشريعه للعدل وأمره به بأن وقرّ كلّ مستحق ما استحقه، ودعى في آخر الآية إلى تقويم الأوزان بالعدل والقسط دون إنقاص فقد أمر بالتسوية ثم نهى عن الطغيان في الميزان.¹

-يقول عزّ وجلّ: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11)﴾.²

فالفاصلة التي تنتهي بها هذه الآية تتألّف من مقطع مركّب يتكوّن من صوت الميم وما قبله ألف مدّ، هذا التّركيب أحدث تناسبا بين الفواصل ومدلول الآية حيث سخر الله عزّ وجلّ الأرض لأمتّه بجميع خيراتها من فاكهة ونخيل.

-يقول تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)﴾.³

الفاصلة هنا وردت مركّبة من حرف الرّاء الساكن والحرف الذي قبل الرّاء هو ألف مدّ، هذا التّركيب أدّى وظيفة إيقاعيّة، وتناسبا صوتيًا بين الفاصلة ومدلول الآية حيث خلق الله

¹-أبي السّعود محمّد بن محمّد العمادي، مرجع سابق، ص177.

²-سورة الرّحمان، الآية10-11.

³-سورة الرّحمان، الآية14-15.

عز وجلّ الإنسان من الطّين في حين خلق الجانّ من النّار، كما أوقعت هذه الفواصل تفاعلا مفضلًا يوحي بالوضوح قصد إعطاء قيم تمييزية وتوضيحية للآية.

ويقول في موضع آخر: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20)﴾¹، وفي آية أخرى يقول أيضا: ﴿كَانَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60)﴾².

في هاتين الآيتين وردت الفاصلة في الآية الأولى مكوّنة من حرف النّون الساكن وما قبل حرف النّون ألف مدّ ساكن، ونفس الشّيء بالنّسبة للآية الثانية، هذا التّركيب أحدث إيقاعا وتناسبا صوتيا بين فواصل الآية ومعناها حيث يشبه قاصرات الطّرف الآتي قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ بالياقوت والمرجان، وحصر مجازة الإحسان بالإحسان في كونه الجزاء الحقّ ومقتضى الحكمة والعدل.³

فالفاصلة المكوّنة من حرفيّ الألف والنّون (آن) في الآية السّابقة أمّدت القراء بألوان من التّنغيم المؤثّر الأخاذ نراه يستثير مشاعر السّامعين ويحدو بهم-بلا وعي-إلى ترديد هذه الفاصلة مع القراء في خشية غامرة وخشوع عميق.⁴

ج-الفاصلة المنفردة:

نجد هذا النوع من الفاصلة في الآية 17 في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ

الْمَغْرِبَيْنِ﴾⁵.

¹-سورة الرّحمان، الآية 19-20.

²-سورة الرّحمان، الآية 58-60.

³-محمد الطّاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 172.

⁴-هارون مجيد، البنى الصوتية للفاصلة القرآنية في سورة الرّحمان (نغم الفواصل)، مجلّة الحكمة للدراسات الأدبية واللّغوية،

مج 2، ع 4، جوان 2014، ص 128.

⁵-سورة الرّحمان، الآية 17.

فالفاصلة في هذه الآية جاءت مركبة من حرف النون الساكن وما قبل حرف النون ليس ألفا كما في السابق بل ياء، هذا الإنفراد في تركيب الفاصلة أحدث تناسبا صوتيا بين الفاصلة ومعنى الآية التي دلت على إعجاز الله عز وجل في خلقه للمشرق والمغرب.

د- الفاصلة المتقاربة:

يقول تعالى: ﴿فِيهَا فَآكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ(11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ(12)﴾.¹

فالفاصلة في هذه الآية تتكوّن من حرف الميم وما قبل حرف الميم ألف ساكن هذا في كلمة "الأكمام"، ووردت متكوّنة في المقطع الثاني من الآية من حرف النون الساكن وما قبل حرف النون ألف مد ساكن، ونلاحظ أنّ حرف الميم والنون متناسبان وهو ما أحدث تناغما وانسجاما صوتيا انعكس بدوره على معنى الآية التي عدّ فيها نعمه التي سخّرها للإنسان والتي تهبها الأرض.

إضافة إلى أنواع الفواصل المذكورة سابقا وهي فواصل صغرى، وردت أنواع أخرى منها الفواصل الكبرى ونجد ذلك في قوله تعالى في الآية 30: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانُ﴾²، وقوله أيضا: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.³

فالفاصلة هنا وردت في كلمتي "تُكَذِّبَانُ" وكلمة "الإكرام" وقد تناسبا صوتيا رغما تفرّقتما في المعنى وفي التركيب ما انسجم مع مدلول الآية التي فرّقت بين نعم الله آلاء عالم الدنيا وآلاء عالم الآخرة، والتّشبيه إلى أنّ آلاء الله في الدنيا فانية، وأنّ نعم الله في الآخرة باقية.⁴ ولنا أن نرسم جدولا توضيحيّا لتعدّد الفواصل في سورة الرّحمان ودلالاتها⁵:

¹-سورة الرّحمان، الآية 11-12.

²-سورة الرّحمان، الآية 25.

³-سورة الرّحمان، الآية 27.

⁴-نعيمة تواتي، البنية الصّوتية في سورة الرّحمان، مجلّة اللسانيّات، مج 26، ع 1، جوان 2020م، ص 74.

⁵-هارون مجيد، المرجع السابق، ص 127.

الآية	نوع الفاصلة	عدد الآيات	دلالة الآية
من 1-9	آن	9	السَّماء وعلاقة الخلق بالميزان
من 10-11	آن	02	النَّعم وخلق الأرض
من 12-13	آن	02	نعم الأرض
من 14-15	آر	02	خلق الإنسان والجنّ
من 16-23	آن وبين	08	خلق البحر
24	آم	1	نعم البحر
من 25-26	آن	2	الفناء
27	آم	1	بقاء الله وحده
من 28-40	آن	13	يوم العرض والحساب
41	آم	1	العذاب والعقاب
من 42-71	آن ونون	30	نعم الجنّة والجزاء
72	آم	1	تحليل المحرّمات
من 73-77	آن	5	صفات حور العين
78	آم	1	الجلال والإكرام لله وحده.

يبين الجدول ترتيباً في عدد الفواصل التي وردت في سورة الرّحمان ودلالة كلّ آية وهذا التّرتيب خلق تناسباً صوتياً مع هذه الآيات التي وردت مرتّبة مع ترتيب الآيات التي ابتدأت بخلق الله ونعمه إلى غاية يوم العرض والحساب.

- من حيث التّكرار الصوتي:

إلى جانب التّناسب الصوتي في سورة الرّحمان من حيث مخارج الحروف والفواصل، نجد كذلك التّناسب الصوتي في التّكرار الذي ورد في سورة الرّحمان في عدد من الآيات وهي:

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾¹.

¹-سورة الرّحمان، الآية 13-21-23-25-28.

ورد تكرار هذه الآية في سورة الرحمان واحدا وثلاثين مرة، في مواضع عدة وكان بينها عدد من الآيات، هذا التكرار لهذه الآية في سورة الرحمان خلق نغما صوتيا انسجم وتناسب مع مدلول هذه الآية حيث أنّ التكرار الصوتي لهذه الآية تناسب مع دلالتها التي جاءت لتقرير نعم الله المختلفة والتذكير بها، فكلمًا ذكر الله نعمة من نعمه كرّر توبيخه للمكذّبين بها.

قال تعالى: ﴿فِي هُنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾¹.

نجد أن هذه الآية قد تكررت مرة واحدة في سورة الرحمان وتحديدا الآية 74 في قوله

تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾².

فالتكرار الصوتي هنا في قوله: " لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ " خلق تناسبا صوتيا بين هذا التكرار ومعنى الآية التي جاءت لتأكيد أنّ الإنسيات لم يمسهن أحد من الإنس ولا الجن³، وأنهم مصونات وترسيخ ذلك في عقل القارئ من خلال هذا التكرار الصوتي الذي تناسب مع هذا المعنى.

كما نجد التكرار الصوتي في آيات أخرى، وذلك في قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁴، هذه الآية التي تكررت مرة واحدة في الآية الأخيرة رقم 78 من سورة الرحمان.

هذا التكرار في الآية خلق تكرارا صوتيا، والذي بدوره خلق تناغما واتساقا وانسجاما مع معنى الآية التي يؤكد فيها الله عزّ وجلّ أنّ البقاء لله عزّ وجلّ ذو الاستغناء المطلق، فهذا التكرار الصوتي ومعنى الآية تنسابا وهو ما خلق قناعة لدى المتلقي بهذه الحقيقة التي هي الفناء لأصحاب الدنيا والبقاء لله وحده عزّ وجلّ.

وهناك أنواع عدة من التكرار والتي وردت في سورة الله والتي كان لها دور في خلق تناسب صوتي مع معاني الآيات، منها ما يتكرّر ويعود في كلّ جملة، نحو قوله تعالى: ﴿

¹-سورة الرحمان، الآية56.

²-سورة الرحمان، الآية74.

³-أبي السّعود محمّد بن محمّد العمادي، المرجع السابق، ص175.

⁴-سورة الرحمان، الآية27.

الرَّحْمَنِ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ¹، وقوله أيضا: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ²﴾.

فالتكرار في هاتين الآيتين في قوله "خَلَقَ الْإِنْسَانَ" التي وردت في آخر الآية رقم 3، وبداية الآية رقم 14، هذا التكرار الصوتي أوجد تناسبا وانسجاما مع مدلول الآية وتحديدًا في قوله: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ" للتأكيد على عظيم نعمائه في خلق للإنسان.

يضاف إلى هذا النوع من التكرار الوارد في سورة الرحمان، هناك أيضا تكرار اللفظة والذي نجده في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ³﴾، وكذلك في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ⁴﴾، حيث ورد تكرار لفظة "الإحسان" في الآية الأولى، وتكرار لفظة "الميزان" في الآية الثانية.

التي جاءت للتأكيد على الجزاء والعدل من قبل الله عز وجل على عباده. هذا التكرار ساهم في التناغم الصوتي للآيات، فقد خلق نوعا من التكرار الصوتي الذي تناسب مع معاني الآيات.

¹-سورة الرحمان، الآية 2-3.

²-سورة الرحمان، الآية 14-15.

³-سورة الرحمان، الآية 60.

⁴-سورة الرحمان، الآية 7-8.

خلاصة:

وخلصة هذه الدراسة التطبيقية في سورتي ياسين والرحمان، نجد أنّ التناسب الصوتي قد تحقّق في السورتين من خلال مخارج الأصوات و صفاتها؛ حيث احتوت كلّ سورة على عدد من المخارج التي توزّعت عليها نذكر منها حرف الميم و النون و الهاء و الراء، كما برزت صفات الحروف و تنوّعت كذلك و ما نستنتجه أنّ هذه الأصوات حتّى و إن تباعدت مخارجها و اختلفت صفاتها إلاّ أنّها تؤدّي وظيفة جمالية وهي الانسجام و التآلف بينها، كما تنوّعت الفواصل القرآنية في السورتين من الفاصلة المتوازنة و الفاصلة المنفردة و المتقاربة حيث أسهم تناسب الفواصل في إفهام المعاني و إحداث إيقاع صوتي عذب وحلاوة ورونق أثناء القراءة و الاستماع .

خاتمة

خاتمة:

وفي الأخير وبعد دراستنا لموضوع بحثنا الموسوم بـ " التناسب الصوتي في القرآن الكريم"، وبعد قراءة وجهد متواصل وعمل جادّ ومحاولة منا للإبراز مختلف أشكال ومظاهر التناسب الصوتي في سورتي ياسين والرحمان، واللّتان اتّخذناهما كمدوّنة لتطبيق دراستنا، خلصنا إلى جملة من النتائج وهي:

- كلّ ظاهرة تتّصل باللّغة لا بدّ أن يشكّل الصوت أساسها ومنطلقها والتناسب هو إحدى هذه الظواهر.

- التناسب هو من العلوم التي تظهر وجهها من وجوه الإعجاز المتعدّدة في القرآن الكريم.
- التناسب الصوتي في القرآن هو ما يحصل من تآلف والتئام بين حروف كلمات القرآن.
- لقد قصر العلماء القدماء نظرهم في دراسة أوجه التناسب الصوتي في القرآن الكريم على التّناسق اللفظي بمعنى تناسب الأصوات بعضها مع بعض، أمّا الدّارسون المحدثون فقد تطرّقوا إلى تناسب الأصوات مع المعاني.

- ثبات مخارج وصفات الأصوات على مدى العصور والأجيال وتوزّع حروفها في أوسع مدرّج صوتي عرفته اللّغات؛ حيث تتدرّج وتتّوَع مخارجها ما بين الشّفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى وهذه من أبرز الخصائص الصوتيّة للّغة العربيّة.

- للفاصلة قيمة إيقاعيّة في القرآن الكريم فهي تعطي لكلماته جرسا صوتيا عذبا، كما تراعي المعنى والسّياق، وكلّ ما يتعلّق بجودة التّعبير وجماليّته.

- وبعد دراستنا التّطبيقيّة لسورتي ياسين والرحمان اتّضح لنا أنّ التناسب الصوتي يتحقّق في كلّ سورة من السّورتين بالوسائل التّالية:

أ- من حيث مخارج الأصوات وصفاتها، فهذه الأصوات حتّى وإن كانت مخارجها متباعدة أوصفاتها مختلفة إلّا أنّها تؤدّي وظيفة جماليّة وهي التّناسب فيما بينها.

ب- من حيث الفواصل القرآنية، حيث أنّ انتهاء الآيات بأصوات متشابهة في الوزن والرّوي يسهم في إحداث حلاوة ورونق أثناء القراءة والاستماع، حيث تعتبر الفواصل والتكرار الصّوتي من أبرز وجوه الإعجاز القرآني.

- التكرار الصّوتي في القرآن ظاهرة إيجابية، تؤدّي دورا صوتيّا ودلاليّا في آن واحد، حيث تضفي على السّور معاني و أبعاد جديدة، وقد بيّنا ذلك عند دراستنا لظاهرة التكرار الصّوتي في سورتي ياسين والرّحمان.

- تعدّدت المقاطع الصّوتية في السّورتين، حيث ساهمت هي الأخرى في تحقيق أثر جمالي ودلالي تحقيق كونها تقوم على مبدأ التّناسب الذي يسمح للمرّتلين بترتيل آيات القرآن الكريم بأنغام رقيقة وعذبة.

وفي الختام يمكننا القول أنّ دراستنا تناولت مظاهر التّناسب الصّوتي بشيء من التّفصيل؛ حيث أوضحت لنا كيفية انسجام وتآلف الأصوات فيما بينها والأثر الذي تتركه في نفس السّامع.

وأخيرا نتمنى أن يكون عملنا مكلّلا بالتّوفيق والنّجاح، ولنا الشّرف العظيم في دراسة هذا الموضوع كونه متعلّقا بالقرآن الكريم الذي يعدّ المنهل الأوّل للأمة جمعاء على اختلاف مشاربها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، 1426هـ.

الكتب:

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1979م.
- إبراهيم جميل محمد إبراهيم، أثر التناسب الصوتي في الإعراب، دراسة تطبيقية على آيات من القرآن الكريم، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الدمام، ط1، 1422هـ-2005م.
- ابن أبي الأصبع، بديع القرآن، تح:حقي محمد شرف، دار النهضة، ط2، القاهرة-مصر، (د.ت).
- ابن حنبل أحمد ابن محمد، المسند، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط3، 1994، ج5.
- ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هندأوي، دار الأمل، دمشق-سوريا، ط1، 1985م.
- ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبّانة، مكتبة النهضة، القاهرة-مصر، ط1، (د.ت)، ج1.
- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، أدب الكاتب، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1423هـ-2002م.
- ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن و علم البيان، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1402هـ-1982م.
- ابن كثير القرشي، تفسير سورة الرّحمان، د ط، د م ن، المكتبة العربية للكتب والمعارف.

- أبي السَّعود محمَّد بن محمَّد العمادي، تفسير أبي السَّعود-إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج8، د ط، دار إحياء التَّراث العربي، بيروت-لبنان، د ت.
- أبي القاسم محمود بن عمر الرَّمخسري، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، ط1، الرِّياض، 1418هـ-1998م.
- أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط2، 1982م، ج4.
- أبي حيَّان الأندلسي الغرناطي محمَّد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التَّراث العربي، بيروت-لبنان، (د ت)، ج 3.
- أبي عبد الحق بن غلي بن عطية الأندلسي ت 54 هـ، المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السَّلام الثَّاني محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت-لبنان، 2001 م، ج4.
- أبي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، جامع أحكام القرآن، دار إحياء التَّراث العربي ، بيروت-لبنان، ج17.
- أبي عثمان عمر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: درويش جودي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2014، ج1.
- أبي علي الفضل بن الحسن الطَّبْرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج9، ط1، دار إحياء التَّراث العربي، بيروت-لبنان، 1986م.
- أبي عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني الأندلسي، التَّحديد في الإِتقان والتَّجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمَّار للنَّشر والتَّوزيع، عمَّان-الأردن، ط1، 1421هـ.

- أحمد أبو زيد، التّناسب البياني في القرآن (دراسة في النّظم المعنوي والصّوتي)، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 1992م.
- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة-مصر، 1418هـ-1997م.
- إسكافي الخطيب أبو عبد الله، درّة التّنزيل وعرّة التّأويل، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت-لبنان، 1401هـ-1981م.
- الأمير أبي محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفّاجي الحلبي (ت644)، سرّ الفصاحة، ط1، دار الكتب العلميّة 1982-1402هـ.
- البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتب الإسلامي، القاهرة-مصر، 1404 هـ، ج1.
- الحمّودي ابن حجّة تقي الدّين أبو بكر علي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شعيت، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت-لبنان، 1987م، ج2.
- التّبريزي الخطيب ، الكافي في العروض والقوافي ، تح: الحساني عبد الله ، حسن عبد الله ، مطبعة الخانجي ، ط1 ، القاهرة-مصر ، 1415هـ-1994 م .
- التّرمذي، الجامع الصّحيح، دار زاد القدسي، القاهرة-مصر، (دت)، ج1.
- البيهقي ، في شعب الإيمان، تح: محمّد السّعيد، بسيوني الزّغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1410هـ.
- العزّ عبد السّلام ابن عبد العزيز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، المطبعة العامرة، 1313 هـ.

- المطلبي غالب فاضل: في الأصوات اللغوية -دراسة في أصوات المدّ العربيّة، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، 1984م، الجمهورية العراقيّة منشورات وزارة الثقافة والإعلام-سلسلة دراسات (364).

- برتيل مالبرج، علم الأصوات، تح: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشّباب، (د ط ، 1988م.
-بسّام بركة، علم الأصوات العام مكتبة وملتقى علم الأصوات، بيروت-لبنان، (د ط)، د ت.
-تمّام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، المكتبة الثقافيّة، الدّار البيضاء، المغرب، د ط، د ت.

-حسام البهنساوي، الدّراسات الصوتيّة عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة-مصر، ط1، 2005م.

-حسن الطّبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التّراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1986م، ج9.

-جورج يول، معرفة اللّغة، تر: محمود فرّاج، ط1، 1423هـ-2003م.

-رمضان عبد النّوّاب، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط2، 1405 هـ-1985م.

- سعيد جوي، الأساس في التّفسير، دار السّلامة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، ط1، 1985م، ج10.

-سليمان أبو بكر سالم، اللّسانيات والمستوى الصّوتي والدّلالي في علم اللّغة المعاصر، دار الكتاب الحديث، القاهرة-مصر، 2009م.

- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، ط7، القاهرة-مصر، 1402هـ-1982

- شمس الدّين أبي عبد الله محمّد ابن أبي بكر ابن أيوب المزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزي (ت ف751)، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1، 1402هـ-1982م.
- صبري المتولّي، دراسات علم الأصوات، زهراء الشّرق، القاهرة-مصر، ط 1، 2006م.
- فخر الدّين محمّد بن عمر بن الحسين الرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دط، دت.
- قاسم البرسيم، علم الأصوات العربي في ضوء الدّراسات الصّوتية الحديثة الكنون الأدبيّة، بيروت-لبنان، ط1، 2005م.
- كمال بشر، علم اللّغة العام "الأصوات"، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1986م.
- كمال إبراهيم، علم اللّغة المبرمج: الأصوات والنّظام الصّوتي مطبّقا على اللّغة العربيّة، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ط1، 1982م.
- نور الدّين عصام، علم الأصوات اللّغويّة، فونيتيكا، دار المكر اللّبناني، بيروت - لبنان، ط1، 1996م.
- ماريوباي، أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، 1419هـ-1998م.
- محمّد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمّار، عمّان-الأردن، ط2، 1421هـ-2000م.
- محمّد الطّاهر ابن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، تونس 1984م، ج22.
- محمّد أحمد ابن طباطبة العلوي، عيار الشّعْر، تح: عبّاس عبد السّاتر، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 1402هـ-1982م.
- محمّد إبراهيم شادي، إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التّميّز، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة- مصر، دت.

- محمد بن محمد الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ-1985م.
- محمد جمال الدين الحلاق القاسي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ-1998م.
- محمد جوّادي الثوري، نهاد موسى، عودة أبو عودة، عائدة أبو وصفي عبد الهادي، محمد الطيّبي، علم أصوات العربيّة، عمّان-الأردن، ط1، 1996م.
- محمد علي الصّابوني، إيجاز البيان في سور القرآن، ط1979، 2م.
- محمد علي الخولي: معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجاريّة، الرياض، السعوديّة، ط1، 1986م.
- محمود عكاشة، أصوات اللّغة، مكتبة دار المعرفة، القاهرة-مصر، ط2، 1428هـ-2007م.
- مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1427هـ-2007م، ج2.
- منال أبو الحسن، الصّوتيات علم وفن وتدريب وممارسة، دار النّشر للجامعات، القاهرة-مصر، ط1، 1436هـ-2015م.
- منصور محمد الغامدي، الصّوتيات العربيّة، مكتبة التّوبة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1421هـ-2001م.

المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، المجلّد الثالث عشر، دار صادر، بيروت-لبنان، ط2008، 6م.
- الخليل ابن أحمد الفراهيدي ت.ف 170 هـ، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج4، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 2003م-1424هـ.
- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم مقاييس اللّغة، ج1، تحقيق: عبد السّلام هارون، دط، دت.

- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.

-فيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الرسالة، ج1.

- أبي حيّان الأندلسي، البحر المحيط، دت، ج4.

الدوريات والمجلات:

-أحمد محمّد علي، أحمد يحي علي محمّد، التّناسب في سورة محمّد: دراسة بلاغيّة تحليليّة، دار النّشر آداب الرافدين المدينة، ط05، العدد 60، 1432هـ- 2011م.

-بوكروشة فوزية، سلطاني الجيلالي، أثر التّناسب الصّوتي في استجلاء المعنى في القرآن، عرض نماذج، مجلّة بدايات، المجلّد الأوّل، العدد الرّابع، فيفري 2020م.

-عبد الباسط عيد، علم المناسبة مدخل إلى بلاغة الخطاب، مجلة عالم الفكر، المجلد 42، العدد3جانفي-مارس2014م.

-عبد الرّحمان بن إبراهيم الفوزان، دروس في النّظام الصّوتي للغة العربيّة، 1428 هـ.

-عمّار ساسي، المدخل إلى الصّوتيات تاريخاً، إصدارات مخبر اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة سعد دحلب، قطب العفرون، البليدة، 2013 م.

-زينب زيادة دسوقي، الدّرس اللّغوي في سورة الرّحمان في ضوء الدّرس اللّغوي الحديث، حولية كليّة اللّغة العربيّة بجرجا مجلّة محكمة، ع2017، 21.

- كفاية مذکور شلش، تجليات الصّوت اللّغوي في سورة الرّحمان، مجلة آداب ذي قار، ع32، 2020م.

-محمّد بولخوط، أضرب الفواصل في القرآن الكريم، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، جامعة تامنغست-الجزائر، مجلّد 11، عدد 2، 2022م.

-محمود بن رأفت بن زلط، أحكام التّجويد والتّلاوة، ط1، مؤسّسة قرطبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2006م.

- نعيمة تواتي، البنية الصوتية في سورة الرّحمان، مجلة اللّسانيّات، مج26، ع1، جوان2020.
- هارون مجيد، البنى الصوتية للفاصلة القرآنية في سورة الرّحمان(نغم الفواصل)، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللّغوية، مج2، ع4، جوان2014م.
- وهيبة الزّحيلي، التّفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج، مج14، ج 27 و28، ط10، ط3، دار الفكر، دمشق-سوريا، 2009م.

الرّسائل الجامعية:

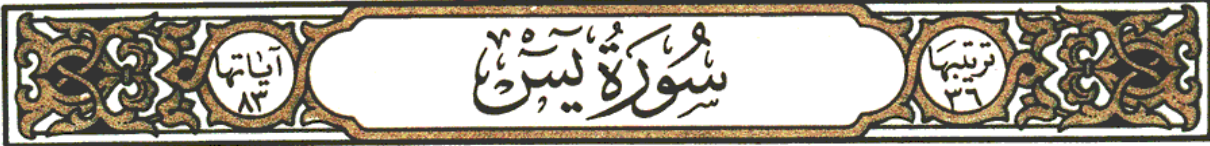
- مقدودة زمّوري، آمال شوكي، التّناسب في القرآن الكريم -نماذج مختارة-، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص دراسات لغوية، جامعة المسيلة، 2017-2018م.
- فدوى محمّد حسان، أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللّغوية في القرآن الكريم، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، جامعة أم ردمان الإسلاميّة، قسم الدّراسات النّحويّة واللّغويّة.

المواقع الإلكترونيّة:

- مجموعة من العلماء، عدد من أساتذة التّفسير تحت إشراف الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التّركي: التّفسير الميسّر، مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف <http://www.qurancomplex.com>، ج7.

الملاحق

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى
ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَيُّ اللَّهِ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا
أُنذِرُوا أَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِىَ إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا وَءَاخِرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ
الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا الزَّجْمَ نَكْفُمْ وَلِمَسَّكُمْ
مِنْ آعَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ
لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَأَ أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَّرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ
يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي أَمِنْتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ الْمُرِيرُوا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَعَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَاصِرٍ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطَعْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ
وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ
مَائِدَعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ
أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا
الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

أَوْلَمَّ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
 مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
 وَهُمْ فِيهَا مَنَّاعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَأَتَّخِذُوا
 مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْلَمَّ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا
 خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
 مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
 ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
 مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
 فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

آياتها
١٨٤

ترتيبها
٣٧

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ ﴿٧١﴾
ترتيبها ٥٥ آياتها ٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ
مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكذِّبَانِ ﴿١٦﴾

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا إِنْ لَأَنْتُمْ فُذُونَ إِلَّا إِبْسَاطِنِ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتِ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ
بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا
تُكذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمَنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

فِيهَا فَكِيهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
 فِيهنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
 مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
 لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٧٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ بُدْرِكٌ أَسْمٌ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

ترتيبها
٥٦
آياتها
٩٦
سُورَةُ الْوَاقِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
 ﴿٣﴾ إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾
 فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
 الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
 فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
 ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
أ-ج	مقدمة
16-6	مدخل: علم الأصوات في الدراسات العربية
الفصل الأول: التناسب الصوتي	
17	المبحث الأول: ماهية التناسب الصوتي
18	1- مفهوم التناسب لغة واصطلاحاً
21-22	2- مفهوم الصوت لغة واصطلاحاً
22-23	3- مفهوم التناسب الصوتي
24-40	المبحث الثاني: التناسب الصوتي بين القدماء والمحدثين
24-34	1- التناسب الصوتي عند القدماء
34-40	2- التناسب الصوتي عند المحدثين
41	المبحث الثالث: التناسب الصوتي في القرآن الكريم
41	1- تأليف الأصوات وتناسبها
42	2- تناسب الفواصل
47	المبحث الرابع: مخارج الأصوات وصفاتها في اللغة العربية
54	1- مخارج الأصوات
55-61	2- صفات الأصوات
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية للتناسب الصوتي في سورتي ياسين والرحمان	
64	المبحث الأول: التعريف بسورة ياسين وفضلها
58	1- تعريف وصفي لسورة ياسين
65	2- فضل سورة ياسين
66	المبحث الثاني: دراسة التناسب الصوتي في سورة ياسين
67	1- التناسب من حيث مخارج الأصوات وصفاتها

78	2-التناسب من حيث الفواصل
85	المبحث الثالث: التعريف بسورة الرّحمان وفضلها
85	1-تعريف وصفي لسورة الرّحمان
86	2-فضل سورة الرّحمان
88	المبحث الرابع: دراسة التناسب الصّوتي في سورة الرّحمان
88-96	1-التناسب من حيث مخارج الأصوات وصفاتها
96	2-التناسب من حيث الفواصل
95-96	خاتمة
79-104	قائمة المصادر والمراجع
105-115	الملاحق
117-118	فهرس الموضوعات
119	ملخص

ملخص:

تناول القدماء التّناسب الصّوتي ضمن مباحث متعدّدة، واستكمالا لجهودهم واصل المحدثون دراستهم حيث ارتبطت نظرتهم إلى روعة القرآن وجمال نظمه بحلاوة الجرس وعذوبة الإيقاع ، ويعتبر التّناسب الصّوتي من بين الظواهر التي تبرز إعجاز القرآن الكريم والذي تتألف وتتسجم فيه الأصوات لتكسب آيات القرآن إيقاعا صوتيا ورونقا خاصا يترك أثرا مميّزا في نفس السّامع، ويتحقّق التّناسب الصّوتي في سورتيّ ياسين والرّحمان من خلال مخارج الأصوات وصفاتها، وكذلك من خلال الفواصل؛ فللفاصلة دور إيقاعي مميّز وجرس صوتي عذب وكلّ هذا التّألف والانسجام يتلاءم وخدمة المعنى.

الكلمات المفتاحية: التّناسب، الصّوت، القرآن الكريم، مخارج وصفات الحروف، الفاصلة، تأليف الأصوات.

Summary:

To complement their efforts, the modernists continued their studies, where their view of the splendour of the Koran and the beauty of its systems was linked to the sweetness of the bell and the torment of the rhythm; Vocal proportionality is one of the phenomena highlighting the Holy Quran's miracle, in which the voices are composed and harmonized to earn the verses of the Quran a musical rhythm and a special chandelier that leaves a distinctive effect on the same hearing. Vocal proportionality in Sorti Yassin and Rahman is achieved through the voices' exits and qualities, As well as through the breaks, the comma has a distinctive rhythm role, a torturous musical bell, and all this harmony and harmony fits in and serves the meaning.